روايات عبير



مارجري هيلتون

جزيرة الأقدار

١٨٦

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 186

جزيرة الأقدار

الواجب دائماً مقدس... أو هكذا مفروض. لكنْ ماذا يفعل الانسان اذا ارتطم واجبه بعواطفه؟ وهل هناك طريقة للتوفيق بين المصلحة العملية وبين هتافات الصدر؟

هذه الأسئلة سرعان ما واجهتها لوريل دانواي لدى وصولها الى جزيرة الأقدار حيث عليها ان تقوم بالبحث عن امكانية اقامة منتجع سياحي لحساب شركتها. الا ان صاحب الجزيرة الكونت رودريغو كان لها بالمرصاد، لا ليرفض عرضها وهي لم تتلفظ بكلمة امامه بل ليأسر قلبها ويأسرها... ثم يكتشف مهمتها فيطردها من جزيرته. لكن الى متى يا ترى؟

لبنان	١٢ ل.ل.	الكويت	١ د	اليمن	٤ ر	السودان	٨٠٠ م
سورية	١٢ ل.س	الامارات	١٢ د	تونس	١٫٥٠٠ د	U.K.	£ 1.50
الأردن	٨٠٠ ف	البحرين	١٫٥٠٠ د	ليبيا	١ د	France	F 10
العراق	٥٠٠ ف	قطر	١٢ ر	المغرب	٥ د	Greece	Drs 200
السعودية	١٢ ر	عمان	١٫٥٠٠ ر	مصر	١٢٥ ق	Cyprus	P 1.50

١ - جزيرة ... المدير

وضعت لوريل دانواي رزمة المستندات على مكتب مديرها السيد سيرل، ثم اغلقت الآلة الكاتبة ودولابها بالمفتاح واطلقت تنهيدة عميقة قائلة لنفسها بصوت مرتفع:

ـ آه، انتهى اسبوع العمل! هيا نستعد لعطلة الاسبوع!

كانت الساعة قد شارفت السابعة مساء وما زالت لوريل في مكتب عملها. عادة ينتهي نهار العمل في الخامسة، لكن هذا اليوم كان غير اعتيادي، لخاصة في ما يختص «بالسياحة الكوكبية».

غياب مديرها بسبب المشاكل العائلية، مرض الدليل السياحي الايطالي، تأخر افتتاح فندق لارينا الجديد بسبب الاضرابات العمالية... وثلاثمئة سائح حجزوا في هذا الفندق لحضور الاسبوع

الأول للتدشين. ماذا سيحل بهم الآن؟ وماذا يمكن للمؤسسة ان تقترح لهم كبديل؟ واسوأ ما في الأمر وتتويجاً لكل ما حدث ذلك النهار، الأخبار السيئة الآتية من سارينغا. ففي هذه الجنة السياحية، اندلعت الحرب. منذ ايام الطوفان والسلام يعم تلك المنطقة! كيف باستطاعة الشركة ان تؤمن سفر السياح الستين وكلهم من العجزة احتجزوا فجأة هناك بسبب الحرب؟

واضافة الى كل هذا، هناك مشاكل لوريل الخاصة: جواربها المنسولة، موعدها مع الباص الذي ترك المحطة من دونها وعطلة الاسبوع... لكن هذه المتاعب الخاصة بدت ضئيلة بالنسبة الى مشاكل العمل الطارئة. هيا اذن... اعلان هدنة... لكن ليس ما حصل اليوم بسبب غياب مديرها...

قطبت جبينها والقت نظرة اخيرة على مكتبها قبل الرحيل. هل فعلت حسناً في ارسال جانيت الى روما في رحلة المساء؟ وفي الاتصال هاتفياً بريمون، في طنجة، طالبة منه الالتحاق السريع بسياح سارينغو الخائفين والمذعورين؟... من النادر ان تأخذ قرارات بهذه الأهمية. لكن كان مفروضاً عليها ان تفعل ذلك.

وما ان اقفلت الباب وراءها حتى سمعت الهاتف يرن. تنهدت وترددت لحظة ثم اخرجت من حقيبة يدها المفتاح ودخلت الى المكتب، على استعداد لسماع كارثة جديدة. هل فيليب يتصل بها ليدعوها الى العشاء؟ كلا، لم يكن فيليب، انما كان مديرها. لم يلاحظ خيبة امل الفتاة وسألها:

ـ هل انت حرة الآن؟ هل بامكانك مقابلتي في مطعم سكالا في الثامنة؟

نظرت آلياً الى الرزنامة المعلقة على الحائط وقالت بتلعثم:

ـ اوه... نعم.

ـ لا ضرورة ان تذهبي الى المنزل انا اعرف انك دائماً متأنقة في لباسك، حتى بعد نهار عمل طويل.

اجابت بفرح لأن غوردن سيرل لا يلفظ ابداً مديحاً للمجاملة وحسب:

ـ شكراً.

ـ انا آسف لاني لم احدد لك موعداً مسبقاً، بل اخذتك على بغتة. لكنني بحاجة الى مساعدتك، تعالي بسرعة. خذي سيارة تاكسي. اتفقنا؟

ـ طبعاً، يا سيدي.

اقفلت السماعة مندهشة ثم طلبت سيارة. وبانتظار قدوم التاكسي، دخلت الى الحمام وسرحت شعرها الطويل الذهبي ورفعته كعكة انيقة. ثم زينت وجهها الجميل وتساءلت: ماذا جرى؟ لماذا يبدو مديرها متوتراً ومهموماً؟ ليس من طبيعته ان يكون مضطرباً الى هذا الحد. هل اصيبت زوجته بمرض جديد؟ هل ابنته عادت تعانده؟ ام ان الأمر يتعلق بالمشاكل المهنية؟

استقبلها غوردن سيرل امام المطعم بأناقة، لكن بوجه مشدود الملامح. وما ان جلسا امام طاولة صغيرة منعزلة حتى دخل لتوه في الموضوع وقال:

ـ كنت انوي ان احدثك بالأمر نهار الاثنين، اي بعد عطلة الاسبوع، لكن الأمور تسوء يوماً بعد يوم، في المنزل، واضطررت الى ان ابدل رأيي.

سكت لحظة بينما كانت لوريل تنظر اليه متسائلة، لكنه تابع يقول:

ـ اعتقد انك ما زلت تتذكرين المشروع الذي كنت اخطط له منذ وقت قصير: مشروع افتتاح محطة جديدة على جزيرة «المصير» في شمال جزر الكناري. كنت انوي ان اذهب الى هناك بنفسي خلال الاسبوع المقبل، للقيام بتحقيق واستقصاء.

دخل خادم المطعم حاملاً الطعام. فتوقف سيرل عن الكلام لحظة. ثم راح يصف لها، بفرح وحماس، الرحلة التي يمكن ان تخطط لها شركته، خلال العام المقبل، الى هذه الجزيرة، في حال نجح المشروع. ثم اضاف وابتسامة ساخرة على شفتيه:

ـ ربما تتساءلين اذا جئت بك الى هنا من اجل ان اقول لك ذلك... لا. للأسف، لا يمكنني ان اذهب الى جزيرة «المصير» بنفسي. واريدك ان تذهبي اليها مكاني.

باندهاش كبير، قالت لوريل:

ـ انا؟ والى هذه الجزيرة؟

ـ نعم. واريد تقريراً مفصلاً وواضحاً.

هتفت تقول:

ـ لكنني لست سوى سكرتيرتك.

قاطعها بقوة قائلاً:

ـ ستتدبرين هذه الأمور جيداً. انه تحقيق اولي: انظري اذا كانت الشواطىء جميلة والسياحة غير خطرة. تحدثي مع اهل الجزيرة لمعرفة آرائهم عن السياحة، وبطريقة غير مباشرة تأكدي من اكتفاء الجزيرة بالمياه الجارية. لكن واهم شيء، هو ان تحافظي على التنكر والسرية، المنافسون عديدون ولا يجب ان يعرفوا اننا على هذه الدرب، وخاصة في هذه الجزيرة بالذات.

اجابت بارتباك:

ـ انت تعرف بأنني على استعداد كامل، ان افعل ما في وسعي للمساعدة. لكنني اكره القيام بالاخطاء الفادحة، اذا كان الأمر لا يتعلق بعملي المباشر.

ـ كلا. انا اثق بك كلياً. وفيما يتعلق بأمور السكن، آسف ان اقول لك بأن الامكانيات ضئيلة جداً. في الجزيرة فندق صغير بامكانه ان يتسع لستة اشخاص. تديره عائلة انكليزية متقاعدة عاشت هناك لسنوات طويلة. يشعر الانسان هناك وكأنه في القرون الوسطى. زار المكان احد اصدقائي في النادي ونصحني به، لكنه متخوف من شح المياه. لذلك اطلب منك التحقيق في ذلك فالمشروع يرمى في البحر، اذا نشفت المياه منذ بداية الربيع.

ظلت لوريل صامتة. هل بامكان امرأة غريبة اكتشاف موارد المياه التابعة لهذه الجزيرة؟ اي لغة يتكلم اهل هذه الجزيرة؟ الاسبانية ام البرتغالية؟ واية اهمية في ذلك، ما دامت لا تتكلم لا هذه ولا تلك...

قال ببطء وتردد:

ـ لقد حجزت غرفة لك لمدة شهر بكامله. لكن علي ان احذرك بوجود عقبتين مهمتين...

ابتسمت بتقلص وقالت:

ـ قل لي الأسوأ.

ـ اريدك ان تصطحبي ابنتي معك.

تذكرت لوريل هذه الفتاة المدللة العنيدة، في السادسة عشر من عمرها، التي تحمل والدها المشاكل العديدة وقالت مندهشة:

ـ ايفون! هل ترغب في رؤية الجزيرة؟

ـ للأسف لا! لكن لا ادري ما افعله بهذه الفتاة الشقية. زوجتي

متعبة كثيراً هذه الأيام وما فعلته ايفون من حماقات في الأيام الأخيرة، اثر في زوجتي كصدمة قوية.

بلطف كبير قالت لوريل:

ـ انا آسفة جداً. وسأفعل المستحيل لمساعدتك.

ـ اعرف ذلك تماماً واكن لك بعرفان الجميل. لذا سأبوح لك بشيء مهم... واطلب منك التكتم التام.

هزت لوريل رأسها موافقة. فأضاف يقول:

ـ تعرفت ايفون اخيراً الى شلة من الاصدقاء من الطراز السيء... وتعلقت بشاب مستحيل. حاولنا كل ما في وسعنا ردعها عنه، ولكنها لم تصغ لاقوالنا.

اطلق زفرة عميقة ثم اضاف:

ـ علمت مؤخراً بأن هذا الشاب له علاقة بتجارة المخدرات ولذلك اردت ان ابعدها عنه، بأي ثمن... صباح اليوم وضعتها امام الخيار الآتي: اما ان تصحبك لمساعدتك، او اقطع عنها المصروف حتى آخر السنة. فرضخت للأمر لانها تحب الرفاهية، ولم تعتبر ما قلته تهديداً في الهواء بل عرفت بأن الكيل قد طفح. هل ما اطلبه منك الشيء الكثير؟

قبل عشر دقائق لربما ترددت لوريل. لكن غوردن سيرل تمكن من التأثير فيها، وكرمه الطبيعي دفعها من دون تفكير الى مساعدته فقالت بحماس:

ـ طبعاً لا، لا تقلق علينا، فانا اكيدة من ان الأمور ستتجل امام ايفون. وبعد شهر من العطلة، سترى هذا الرجل بنظرة مختلفة وربما تعود الى رشدها.

تنهد غوردن سيرل وقال:

ـ الله يسمع منك! لكن علي ان احذرك بصراحة بأنها ليست فتاة سهلة المعاملة. اذا رفضت تجاراتك، ارجو ان تعلميني بذلك، فاعيدها الى المنزل. من المستحيل في ايامنا هذه، فرض الطاعة على هذا الجيل من الشباب! واود ان تذهبا في بداية الشهر المقبل، اذا كان هذا ممكناً. يعني نهار الجمعة المقبل.

فوجئت لوريل لاارادياً، فنظر اليها بقلق وقال:

ـ هل هذا التاريخ لا يوافقك؟

وبتردد غير ملحوظ اجابت:

ـ كلا.

رفضت ان تفكر بعطلة الاسبوع المقبلة التي ربما ستقضيها مع فيليب. منذ وقت طويل وهي تكرس وقتها الحر من اجله، تبقى في المنزل بانتظار ان يتصل بها هاتفياً وتأمل في ان يدعوها الى الخروج...

قال لها غوردن سيرل بعد تردد قصير:

ـ اعذريني، يا لوريل. انا اغرقتك كثيراً بمشاكلي الخاصة الى درجة نسيت بأن لديك حياة خاصة. صديقك سيغضب مني لانني سأبعدك عنه لمدة شهر بكامله. ربما من الأفضل ان افكر بحل آخر.

اجابته لوريل بعزم:

ـ لا. سأذهب بكل سرور. وعلى فكرة، لم اخبرك بعد عما جرى اليوم من امور تخص العمل...

ولما عرضت له سلسلة الكوارث التي انهمرت عليها، قالت في النهاية:

ـ لم اكن قادرة ان اتصل بك في اي مكان... آمل ان يكون ما فعلته حسناً.

ابتسم غوردن سيرل وقال:
ـ ما فعلته جيد جداً. لقد ارسلت جانيت الى روما وريمون الى سارينغو. كنت سأفعل ذلك لو كنت مكانك.
ـ كنت اخشى ان تفقد ليندا دايل توازنها في مهمتها الأولى في سارينغو.
هز غوردن سيرل رأسه وقال:
ـ عندما سمعت الأخبار، كانت لي ردة الفعل نفسها، واتصلت بطنجة، بعدك. لكن منذ قليل، عرفت من السلطات في سارينغو، بأن الثورة قد احبطت، وكل شيء عاد الى هدوئه في المنطقة الساحلية حيث ستصل فرقتنا الصغيرة اليوم. آمل ان اعرف قريباً بأنها في طريق العودة.
شعرت لوريل بالارتياح وراحت تحتسي قهوتها بفرح وافكارها تدور حول المهمة التي تنتظرها. هل ستبدو بمستوى ذلك؟
من تقريرها المفصل يتقرر مصير السياح، ونجاح الشركة. رفعت نظرها نحو مديرها وقالت:
ـ لقد نسيت يا سيدي ان تخبرني عن العقبة الثانية التي تواجهني...
ـ آه، نعم. العقبة الثانية تتعلق بصاحب القصر المبني في الجزيرة... ممتلكاته تشكل ثلثي الجزيرة وتقع في افضل جزء منها. ثروته وتأثيره كبيران. يجب عليك جس النبض ومعرفة ردة فعل هذا الرجل حيال امكانية ان تصبح جزيرته مركزاً سياحياً. في الواقع كل شيء متعلق بارادته الحسنة.
ـ هل تريدني ان ازوره؟
ـ كلا. ليس في هذه المرة. زيارته الآن ستكون باكرة لأوانها. لا

ضرورة لاضاعة وقته ووقتك، قبل اتخاذ اي قرار بهذا الشأن.
هزت لوريل رأسها وفكرت بأنها لم تتلق من قبل امراً بتنفيذ مهمة مماثلة. وبدأت تروق لها هذه الفكرة وتتحمس لها، الى درجة انها نسيت كلياً ايفون الشقية وصاحب القصر واسراره.
سألته بصوت خفيف:
ـ هل تعتقد بانه سيعرقل العمل ويقيم العقبات؟
بعد تردد بسيط، اشار غوردن سيرل برأسه ايجاباً فأضافت تقول:
ـ هل لديك سبب معين يجعلك تعتقد ذلك؟
ـ كلا. انه مجرد حدس. لكنه لا يخطىء معي الا نادراً.
ـ وماذا يدعى هذا الرجل... النبيل الاسباني؟
ـ الكونت فيشيته رودريغو دي ريتزي تالديس!
ـ أوف!...
ـ ربما تكون مشكلته معقدة مثل اسمه. لكن آمل ان يكون حدسي خاطئاً هذه المرة.
ـ وانا ايضاً.
وفي الأيام التالية لم يتسن للوريل الوقت كي تتوقف ملياً وتفكر فيما ينتظرها. كان عليها ان تنتدب واحدة لتحل مكانها في المؤسسة. مديرها كان مهموماً على صحة زوجته اذ طلب منها الطبيب الدخول الى المستشفى لاجراء عملية جراحية صغيرة، لا خطر على حياتها. وبالرغم من كل هذا كان غوردن سيرل ينظر الى كل ما يدور في المؤسسة، جنباً الى جنب مع سكرتيرته. اصر على ان يقدم لها مبلغاً محترماً من المال لتغطية النفقات غير المنتظرة. احتجت لوريل لكنه لم ينصع لها وقال:
ـ ليس وارداً ان تتحملي وحدك مصاريف الالبسة الضرورية

لهذه الاقامة.

- لكنك دفعت الفندق، اضافة الى معاشي.

- انا اطلب منك ان تكرسي لهذه المهمة كل وقتك، كما افرض عليك ابنتي ايفون. . . آه لو ترين ما اشترته من ملابس لهذه الرحلة!

قضت لوريل اذن نهاراً مرحاً، تخلله بعض الاضطراب، بينما كانت تبتاع الملابس الصيفية، من ملابس السباحة الى الفساتين الخفيفة. لقد حذرها مديرها بأنها لن تجد شيئاً يناسبها داخل الجزيرة وعليها ان تشتري كل ما تحتاجه لقضاء اربعة اسابيع في الجزيرة، اضافة الى الادوية ومساحيق الزينة والافلام.

صباح الخميس، وصل السيد سيرل الى مكتبه مصطحباً ايفون معه. ثم دعا الفتاتين الى الغداء. ايفون تصغر لوريل بأربع سنوات، انما تزيدها طولاً بعشر سنتمترات. انها فتاة جميلة، سمراء وذات شعر اسود طويل. لكنها عابسة كأنها لا تستطيع اخفاء عداوتها تجاه والدها. خلال الغداء استرخت ايفون قليلاً وراحت تعرض على لوريل لائحة مشترياتها بالتفصيل.

- لو ترين التنورة الحمراء القطنية، والقميص الناعم الكريمي، والعقد المتناسق، التي اشتريتها للمساء!

ثم نظرت الى والدها وقالت:

- يقول ابي ان الجزيرة لا تحتوي على ملاه ليلية وان الفندق الوحيد الموجود هناك هو الذي سننزل فيه. لكن هذه البزة كانت جميلة الى درجة لم اقدر ان امتنع من شرائها!

قال والدها بهدوء:

- ستطردين من الجزيرة فوراً اذا ارتديت لباساً شفافاً.

عبست ايفون وقالت:

- اذا عارض احد ما سأرتديه، سأغادر هذه الجزيرة اللعينة من دون ان انتظر ان يطردوني منها. يا له من مكان رهيب! ما رأيك يا آنسة بذلك؟

قالت لوريل مبتسمة:

- لنرى الجزيرة اولاً ثم نحكم عليها. لا شك ان الانجذاب الأساسي في هذه الجزيرة الشمس والطقس الدافىء. ولا شك اننا سنمضي معظم وقتنا في لباس السباحة.

القت ايفون نظرة من النافذة. المطر لم يكف طول النهار. لوريل اذن على حق. كل شيء افضل من هذا الربيع الرطب، العفن.

افترقت الفتاتان باتفاق. وقضت لوريل فترة بعد الظهر برفقة مديرها، في تسجيل لائحة مفصلة بالمعلومات الضرورية التي يجب ان تحصل عليها خلال اقامتها في الجزيرة. وبعد ان احتست الشاي في المكتب واكلت السندويش، عادت لوريل الى منزلها لتبدأ تحضير حقائبها.

في الثامنة مساء، شعرت بالتعب يحتلها حتى الارهاق. لقد وضبتْ حقائبها ونظفت الشقة ودفعت الايجار وغسلت شعرها. فالسفر سيبدأ باكراً في الصباح التالي وعليها ان تكون حاضرة كلياً عندما يصل مديرها مع ابنته لاخذها الى المطار.

كانت تستعد لأخذ حمام ساخن، عندما سمعت جرس الباب. وضعت مئزرها عليها واسرعت باندهاش لتفتح الباب. الرجل الذي كان ينتظرها بفارغ الصبر دخل فجأة وابتسامة واسعة على شفتيه.

وبين الفرح والرعب صرخت لوريل:

- فيليب! لكن لست. . .

- لا اهمية، يا حبيبتي. سأنتظرك.

وبثقة تامة، مد ذراعيه وتقدم منها وقال:

- في كل حال، ألسنا دائماً على موعد؟

- نعم، لكن...

ابتعدت لوريل عنه بسرعة وقالت:

- لكنني لم اكن انتظرك. لقد قلت لي على الهاتف بأنك مشغول جداً طيلة الاسبوع و...

- اعرف، يا حبيبتي.

منذ ستة اشهر دخل فيليب الى حياة لوريل. انجذبت لسحره وعينيه السوداوين الواسعتين وصوته المداعب. اضاف يقول:

- تمكنت بسرعة من انهاء هذه القصة المملة مع دافرلي. كما اتصل بي جاك هارفيغ ليعلمني بأن محاضرة الغد الغيت. وها انا حر وسابقى معك حتى صباح الاثنين، يا حبي.

طبع قبلة صغيرة على خدها قبل ان يجتاز الصالون. لوريل صامتة ومسمرة مكانها. التفت نحوها مندهشاً وقال:

- هيا، يا حبيبتي، لا تتسمري مكانك كالقصبة. الساعة الآن التاسعة. كوني لطيفة وحضري حالك. الا اذا اردت البقاء هنا والسهر قرب نار المدفأة. انا لست ضد ذلك ... تعرفين.

قالت بسرعة:

- هذا ليس وارداً على الاطلاق! لا يمكنني الخروج معك، هذا المساء، يا فيليب. كنت استعد لأخذ حمام ثم الايواء الى الفراش باكراً.

- كيف؟

تقدم منها بسرعة وقال:

- ما بك، هل انت غاضبة مني؟

وضع يديه على كتفيها ونظر اليها بامعان ثم قال:

- انا آسف حقاً، لكن ليست هذه غلطتي، صدقيني.

- تقول لي ذلك دائماً! الوقت متأخر وعلي النهوض غداً باكراً جداً، لانني...

- غداً؟ غداً يوم آخر. هيا يا لوريل، اذهبي وارتدي ملابس السهرة وزيني وجهك. سآخذك الى المدينة، الى حيثما تريدين. ما رأيك بـ...

ابتعدت عنه وقالت:

- كلا. هذا مستحيل، يا فيليب. انا راحلة غداً.

- ماذا؟ ترحلين؟ لكن لم تحدثيني عن ذلك من قبل!

- لم اعرف ذلك بنفسي الا منذ ايام معدودة. وكيف استطيع ان اخبرك، ما دمت لم ارك منذ ذلك الحين...

زم شفتيه بفكاهة وقال:

- نعم طبعاً... لكن... الأمر مفاجىء حقاً. وكم سيطول غيابك؟

- شهر. وربما اكثر.

ذعر بالخبر وقال:

- شهراً! آه، لوريل، لا يسعك ان تفعلي ذلك معي. يا لها من كارثة!

اندهشت لوريل ونظرت اليه متسائلة، فقال مسرعاً:

- اسمعيني، اننا مدعوان خلال عطلة الاسبوع المقبل عند جاك هارفيغ في منزله الريفي. انه شرف كبير ان يدعوني الى منزله. آه، لوريل، عليك ان تعودي قبل آخر الاسبوع المقبل

عضت لوريل على شفتيها وقالت:

- هذا مستحيل. كل شيء منظم. ثم انا لا اعرف هذا الرجل. لماذا دعاني؟

- لم تفهمي بعد. بالنسبة الي، انها مناسبة نادرة وحظ يفلق الصخر. سالتقي في منزله بأشخاص ذوي اهمية كبرى. كما ان هذا يعني ان جاك بدأ يعرف قيمتي. طلب مني ان اصطحب معي فتاة وفكرت بك. لم اكن اتوقع ان. . .

- انا آسفة، يا فيليب. انا مسافرة في عمل ولا يمكنني ان انسحب الآن منه. اذا اردت، بامكاني ان ارسل لمديرك رسالة أسف واعتذار.

- لكن جاك يريد ان يراك انت. لقد حدثته عنك. انت من نوع النساء الذي يحب. ترتدين باناقة وتشعرين بارتياح مع الجميع وتعرفين ان تحفظي مكانك دائماً. هذا امر مهم جدا بنظره. والآن ترحلين . . . هكذا!

لم يلاحظ فيليب النار الساخطة في عيني لوريل. قالت له:

- اسمع، يا فيليب. لقد قلت لك بأنني آسفة, وهذا يكفي الآن. لن اغير مشاريعي في اخر لحظة بسبب دعوة من شخص لا اعرفه، حتى ولو كان مديرك بالذات. ولا ارى لماذا وجودي سيسهل عليك العمل.

- اذن، حان لك الوقت ان تفهمي ذلك. في مؤسستنا، المرأة القديرة ورقة نادرة لنجاح الموظف الصغير. اعتقدت بأنك مصرة على البقاء معي ويهمك امري، لكنني كنت مخدوعاً، على ما اظن.

نظرت اليه لوريل بصمت. لكن غضبها جعلها تقول:

- نعم، كان يهمني امرك، كما انني وقعت في حبك اول مرة

رأيتك. لكن هذا الأمر لا يهمك، على ما اظن. ما تريده هو امرأة قادرة على نيل رضى مديرك، امرأة تسمح لك ان تنجح في مهنتك. اذن، لقد اخطأت الاختيار!

وببطء اجتازت الغرفة وفتحت الباب وقالت:

- اعتقد اننا قلنا كل شيء، يا فيليب.

نظر اليها فيليب غير مصدق وتقدم منها وقال:

- لوريل، لا . . . لا تعرفين ما تقولين؟

- بلى اعرف.

- نحن نحب بعضنا وتعترفين بذلك بنفسك. وانا باستطاعتي ان ابرهن لك عن حبي.

ابتعدت عنه وقالت بلهجة باردة:

- كلا. لم اعد قادرة على انتظارك وراء آلة الهاتف، وابتلاع اعذارك وان اكون حاضرة كلما واجهت مشكلة في عملك. انتهى كل شيء.

- الم تفهمي بأنني كنت اعمل من اجلنا، من اجل مستقبلنا. ومتى وجدت بأن عملي مستقر، ساطلب يدك. ستندمين على ذلك، يا لوريل. . .

هزت رأسها وبدأت ترى الأنانية المخيفة وراء سحر فيليب. صحيح ان الطموح فضيلة، لكن لوريل تريد اكثر من هذا، من رجل حياتها.

قال بلهجة عابسة:

- اضيع وقتي في مناقشتك. لست في مزاج جيد يسمح لك بالاصغاء الي هذا المساء. فكري جيداً. مساء الخير، يا لوريل.

هذا يعني بأنه مستعد ان يسامحها اذا ما اعتذرت منه. اكتفت

بقول «مساء الخير». القى فيليب نظرة غاضبة ثم اقفل الباب وراءه بقوة. سمعته يهبط السلالم ويصفع باب المدخل العام. تنهدت وتابعت عملها من دون حسرة. انتهى كل شيء بينهما.

لكن، بما ان وضعت رأسها عل الوسادة، في السرير، حتى راحت تبكي طويلاً في العتمة. هذا اللقاء الأخير مع فيليب اقلقها كثيراً. وتذكرت لوريل تحذيرات غوردن سيرل في ما يتعلق بإيفون وصاحب قصر جزيرة «المصير»... هل ستكون عل قدر واسع لمجابهة المشاكل التي تنتظرها هناك؟

شعرت بالوحدة والقلق وظلت مضطربة في سريرها مدة طويلة قبل ان تنام...

٢ - الغريقة

- آه، دعيني وشأني!

صرخت ايفون بهذا الكلام وصعدت الى الارجوحة. نظرت اليها لوريل بارتباك عندما لاحظت بزة السباحة الوقحة التي ترتديها الفتاة. آه، بدأت المشاكل فعلياً. منذ وصولها الى الفندق، كانت لوريل تشعر بقدوم العاصفة، لكنها حاولت جهدها كي تتحاشاها. ربما ايفون منزعجة من الطعام او من كثرة تعرضها للشمس، فقالت لها:

- لا تبدين عل ما يرام، يا ايفون...

- آه، هذا له مبرره. انني امل هنا حتى الموت! وصلنا منذ ثلاثة ايام وكل ما نفعله هو ان نمشي ونمشي في هذه المنطقة المعزولة، حيث

لا شيء يستحق المشاهدة. آه... «جزيرة المصير»! هذه التسمية تضحكني. من الأفضل لو اطلق عليها اسم «جزيرة اللعنة»!

- لا تتكلمي بصوت مرتفع، يا ايفون. لماذا لا تكوني صادقة مع نفسك. قبل مجيئك الى هنا كنت تعرفين بأنه مكان هادىء ولا يؤمه السياح.

انفجرت ايفون قائلة:

- آه، نعم. انه مكان هادىء حتى الموت. انها مقبرة حقيقية! اما في ما يتعلق بالسياح... في هذا المكان القاحل، ربما انا وحدي التي ما تزال على قيد الحياة.

قالت لوريل بجفاف:

- شكراً لي.

- عندما افكر بالكولونيل كارلتون وبزوجته المسكينة... هذان العجوزان التعسان! هو لا يتحدث الا في السياسة وهي تطعن بجيل اليوم. والسيد بينكلي المقيت الذي يحاول ان يقرصني في فخذي عندما لا ينظر اليه احد والآنسة جيسوبس التي تقضي وقتها تتذمر من غلاء المعيشة! وتحدثني عن اللهو!

- الآنسة جيسوبس امرأة مسكينة. لقد فقدت اخيراً صديقتها الحميمة وتشعر بالوحدة الآن. بامكاننا ان نكون في رفقتها من وقت الى آخر.

- شكراً. عليها ان تجد صديقة اخرى غيري، مملة وخشنة مثلها.

شعرت لوريل بالغضب يحتلها، فقالت بقسوة:

- اسمعيني. لا تنسي بأنني جئت الى هنا للقيام بعمل معين وان والدك يدفع لي معاشاً من اجل ذلك.

- لا احد يمنعك من القيام بعملك. لكن اطلب منك ببساطة الا تدخليني في شؤونك المهنية.

- وماذا ستفعلين بدورك؟

- آه، لا تقلقي علي. سأستحم في البحر او سأقرأ. لكن ليس وارداً ان امشي بتسكع عبر الجبال والوديان. لقد تورمت قدماي من جراء اللحاق بك.

- لو انتعلت حذاء متيناً لما عانيت من اي ألم.

- لقد اشتريت هذه الصنادل لهذه الرحلة واصر على انتعالها.

اطلقت لوريل زفرة عميقة وعرفت ان الكلمة الاخيرة ستكون لايفون. وما العمل؟ عليها القيام بالمهمة الموكلة اليها. وايفون مصرة على عدم مرافقتها في استكشاف الجزيرة. حاولت مرة اخرى اقناعها، فقالت:

- انا اجد متعة في اكتشاف جزيرة مجهولة. اعترفي بأن المنظر رائع وخلاب.

- نعم انت على حق. لكن اذهبي من دوني، ارجوك.

في هذه اللحظة ظهرت روزيتا، خادمة الفندق، حاملة سلة على ذراعها واجتازت الحديقة باتجاه الفتاتين. ثم قالت:

- هذه زوادتكما!

اعطت السلة للوريل واتجهت نحو الحديقة الممتدة وراء البناء الطويل الابيض. لم تكن لوريل تعرف ما ستفعله، وتبعت بنظراتها الخادمة باللباس الأسود وهي تعبر الباب الحديدي. لمحت وراء السياج رينالدو، الخادم الشاب، بشعره الاسود وعينيه المخمليتين والابتسامة الساحرة! الكولونيل كارلتون يعتبره شاباً دخيلاً، اما السيد بينكلي فيستغرب كيف يوظف الانكليز شخصاً لا يتكلم الانكليزية الصحيحة.

حدثت ضجة صغيرة وراء السياج وسمعت الصرخات. . . ثم عم الصمت قليلاً، وظهرت روزيتا من جديد، حمراء الوجه ومشعثة الشعر، واختفت داخل الفندق. صفقت الباب، فابتسمت لوريل وعادت الى وعيها وقالت وهي تدل الى السلة:

- لكن. . . وغداؤك. لقد قلت بأننا سنقضي النهار معاً خارج الفندق.

تثاءبت ايفون وقالت:

- وماذا بعد! لا تقلقي. لن ادع نفسي اموت جوعاً.

- اشك بذلك. من الأفضل ان اعلم السيدة آلين ببقائك هنا.

- سأتكفل بذلك بنفسي. لدي لسان واعرف ان اتكلم.

- حسناً. لا تنسي الاعتذار ولا تستحمي في البحر مباشرة بعد الغداء، هل فهمت؟

وضعت ايفون يدها على قلبها وقالت بسخرية:

- اعدك واقسم لك.

ترددت لوريل لحظة. لماذا تشعر بعدم الارتياح؟ ماذا سيحل بايفون اذا بقيت هنا؟ هل ستغرق ام تقع عن الصخرة؟ ما دامت ايفون ترفض مرافقتها، فلا داعي للاصرار اذن.

اجتازت باباً صغيراً محفوراً في الجدار المرتفع الذي يحيط بالحديقة واخذت ممراً نحو منحدر التلة، ثم انعطفت في ممر آخر بعد ان تبينت خطوطه على الخارطة التي بدأت في تصميمها. هل سيقودها الممر الى طرف الجزيرة المخبأة وراء التلة، ام ستصل الى القصر الذي تراه من كل مكان؟

كيف سيكون منظر صاحبه النبيل؟ بدأت تفكر بأن مديرها وقع اختياره على هذه الجزيرة خطأً، فالجزيرة خاوية من جميع وسائل اللهو، لكنها تناسب تماماً السياح الذين ينشدون الهدوء والهواء الطلق. الشمس تسطع باستمرار، وريح البحر تخفف من حدة الحرارة. على بعد دقائق قليلة من الفندق شاطىء رائع ومحمي يقع على الساحل الشرقي من الجزيرة. بينما في الجانب الآخر، رياح المحيط الاطلسي تجعل السباحة مستحيلة.

داخل الأراضي توجد امكانيات عديدة للتنزه وسط المناطق المشجرة، والوديان التي تسير فيها الانهر. ومن التلال يبدو المنظر رائعاً، مطلاً على الافق المتلألىء. في هذه القرية الهادئة، النساء امام عتبة المنزل تعملن على التطريز والحياكة. الفاكهة متوفرة بغزارة. السمك وفاكهة البحر لذيذة الطعم والهواء المعطر منعش ومنشط.

يبقى للوريل ان تكتشف اذا كانت موارد المياه كافية واذا كانت الأرض صالحة للبناء والسكن. حتى الآن لم تر ارضاً مناسبة، لكن ربما في الجهة الاخرى من الجزيرة. . .

الممر يتعرج ببطء على التلة. ومن حين الى آخر تظهر غابة صغيرة، ويصبح بامكان لوريل ان ترى من بعيد العرائش واشجار الحمضيات التي تشكل موارد الجزيرة الاساسية.

وحوالى الحادية عشرة اعتقدت لوريل بأنها قطعت نصف الطريق تقريباً. فجلست على صخرة دافئة واعطت لنفسها عشر دقائق للراحة. اكلت تفاحة وشربت ماء ثم عادت تسير باتجاه القصر. كانت الساعة قد اصبحت الواحدة عندما وجدت نفسها في مكان متشعب الطرق. الى اليمين، الطريق تضيع بين التلال والى اليسار، تصل الى شاطىء رملي محمي بصخرة عالية. ومن دون تردد اختارت الاتجاه الثاني.

الشاطىء كان فارغاً من اي كائن حي. جلست لوريل بارتياح

على الرمل الاصفر واتكأت الى صخرة وفتحت السلة، ووضعت محتوياتها على شرشف خاص. الهدوء تام. تهيأ للوريل انها الكائن الحي الوحيد على مسافة كيلومترات عديدة. لا عواء كلاب، ولا صراخ اولاد ولا صوت المذياع... انها الجنة... ملجأ رائع للعشاق!

شعرت بالنعاس، فتمددت لحظة واغمضت عينيها وقررت عدم البقاء هنا مطولاً، فما زال امامها عمل كثير. ولما نهضت اخيراً لاحظت ان ساعة بكاملها قد مضت. الطقس حار والتعب اضناها ولم تشعر برغبة في متابعة الطريق. وضعت بقايا الطعام داخل السلة وراحت تتأمل المحيط. كم المياه مغرية!

خلعت حذاءها واسرعت تبلل قدميها بماء البحر. وشعرت بانتعاش كبير. انها ترتدي بزة السباحة تحت ملابسها. نظرت حولها. لا اثر لاي مخلوق، ولا ترى امامها سوى القصر. ولا شك ان سكانه يخلدون الى النوم اثناء القيلولة وفي هذا الوقت الحار من النهار.

بعد تردد خلعت لوريل فستانها ودخلت في الماء ببزة السباحة وراحت تسبح في المحيط. تتقدم ببطء وكسل، عيناها مغمضتان تتمتع بالمياه المنعشة الصافية. وراحت تقفز كالشقية وتسبح تحت الماء ونسيت الوقت كلياً.

اخيراً شعرت بالتعب، وطافت تحت السماء الزرقاء. لكن فجأة تذكرت هدف نزهتها والقت نظرة قلقة نحو الشاطىء. السلة والملابس ما زالت مكانها حيث تركتها على الشاطىء القاحل. تذكرت فجأة انها لا تحمل منشفة. لا اهمية ستجفف حالها تحت الشمس وتلف شعرها بمنديلها القطني. اتجهت نحو الشاطىء وفجأة كاد ان يغمى عليها من الخوف عندما لاحظت انها ليست وحدها.

هناك انسان يسبح... بعد ثوان معدودة لاحظت بأنه رجل. فتحت فمها هلعاً، فشربت بعض الماء وغطست تحت الامواج. ثم صعدت الى السطح، لاهثة. احتلها الخوف وانحرفت نحو الشاطىء.

- سينيورا! سينيوريتا!

ولدى سماعها هذا الصوت القوي، اسرعت في حركتها. من اين جاء هذا الرجل؟ لم تره يصل. هل كان يراقبها منذ فترة طويلة؟ هل قرر بانها فريسته التي يحلم بها؟ القت نظرة سريعة خلفها وارتعبت. انه يسبح وراءها وكأنه يتبعها.

- توقفي يا سينيوريتا! انتبهي!

لا مفر من الابتعاد عنه. مخرت البحر كالمجنونة تطلب من السماء ان يتعب الرجل قبلها ويتخلى عن متابعتها. وللأسف، سيل من الكلمات الغامضة تعلو صداها في الماء. اصبح قريباً منها. توقفت ثانية، لاهثة وقالت بحسرة:

- اذهب من هنا، ارجوك!

- يا الهي! انت انكليزية... لم افطن لذلك ابداً!

هل هذا الرجل مجنون؟ لقد اجتازت اميالاً عديدة، من اين اتتها القوة لعبور كل هذه المسافة؟ اصبحت الماء باردة وهائجة. قامت بجهد قوي لئلا تستسلم للخوف. ايهما افضل: ان تموت من التعب ام ان يلتقطها هذا الاسباني الغريب... فجأة شعرت بألم في الكاحل سرعان ما امتد الى كل انحاء جسمها، فجن جنونها ولم تعد تعرف ماذا حل بها. سبحت مكانها لحظة قبل ان تغرق متنحبة: اصابها تشنج قوي.

عادت الى سطح الماء، تحاول ان تجد شيئاً تتعلق به. اذناها تطنطنان ورأسها على وشك الانفجار، تسمع بغموض صوت الرجل الذي يتبعها. امسكتها يدان قويتان ودفعتاها فغرقت مرة ثانية. الويل له! هذا الرجل الغريب يحاول اغراقها!...

صرخ الرجل:

- لا تتخبطي انني لا انوي قتلك.

راحت تصرخ:

- النجدة! النجدة!

سمعت قبل ان تختفي من جديد في الامواج العالية:

- اذا استمريت على هذا المنوال، سنغرق معاً.

انها تختنق. وشاح اسود مر امام عينيها. لكن فجأة، وكالأعجوبة، وجدت نفسها تتنفس الهواء. الشمس اعمتها. فوق رأسها بدت السماء نقطة زرقاء لا حدود لها. الرجل وضع يده تحت ذقنها وجرها بعيداً عن الأمواج. فجأة شعرت بأنها دمية وتخلت عن اية مقاومة بدافع البقاء.

سحبها الرجل نحو الشاطىء، رافعاً رأسها لئلا تبلع الماء. ولما شعر بالأرض تحت قدميه، وقف وحملها بين ذراعيه وصعد بها الى الشاطىء ومددها فوق منشفة زرقاء، رافعاً رأسها قليلاً. ثم انحنى فوقها محاولاً القيام بالتنفس الاصطناعي. لكن ما ان وضع يديه على ظهرها حتى شعرت بقشعريرة عنيفة وتقوقعت على نفسها مذعورة تعي ما جرى لها بوضوح.

جلس قربها بوجه قاس وراح ينظر اليها وهي تسعل وقال:

- حسناً، ما دمت تفضلين ان تتدبري امورك بنفسك...

تمكنت من القول:

- اذهب عني!

- كيف تستطيعين المناقشة ورئتاك مليئتان بالماء؟!

وبحركة قاسية لفها بطرف المنشفة. لم ترد عليه من شدة الخجل. ولما اصبح باستطاعتها ان تستعيد انفاسها، شعرت بضعف قوي وراحت تمسح الدموع المتساقطة من عينيها الحمراوين.

- اذن، الظاهر انك تشعرين بتحسن.

كان يتكلم بجفاف وغضب. هزت لوريل رأسها. شعرها الاشقر يلتصق بوجهها وعنقها. سمعت الصوت الجليدي يقول بالحاح:

- ربما تشعرين الآن بتحسن لتشرحي لي اسباب تهورك الجنوني؟

ادارت رأسها نحوه وقالت:

- تهوري؟ لكن... لكن انت الذي بدأت! انها غلطتك لو...

ولما التفت بنظراته المتعالية، بدأ صوتها يرتجف واختفى. لأول مرة تراه بوضوح. رأسه مليء بالكبرياء، ونظرته متعجرفة. يرتدي بزة سباحة حمراء تظهر سمرته الفاقعة. قال بعدما حدق بها مفصلاً:

- اذن... ستتهمينني بماذا...؟

- كنت اسبح بهدوء الى حين رحت تتبعني و...

- اتبعك! لماذا رفضت الانصياع الى تحذيراتي؟ كدنا نغرق معاً بسببك!

حدقت لوريل باندهاش وقالت:

- اي تحذيرات؟ كيف تجرؤ ان تتهمني، بينما كنت طول الوقت...

قاطعها بلهجة قاسية:

- كنت احاول ان ادلك الى الخطر الذي ينتظرك. بدأت اندم الآن

لتدخلي في الأمر. نعم، لا اخترع شيئاً، الخطر كان محتوماً... كنت تخالفين...

قالت وهي ترتجف من البرد:

- قبل مجيئك، لم يكن الخطر وارداً اطلاقاً.

- صحيح، اذن، اسمعيني لحظة من فضلك. هذا الخليج يبدو بنظرك مثالياً ورومنسياً، اليس كذلك؟ البحر ازرق ومغر والرمل ناعم واشقر. نعم، بامكان المرء ان يسبح هنا بامان... شرط الا يغامر قرب الاعصار.

انتفضت لوريل، فابتسم الرجل بسخرية وقال:

- بدأت تفهمين، أليس كذلك؟

قالت متلعثمة:

- هل هناك دوامة حيث كنت؟

- نعم، مباشرة قبل اللسان الجبلي.

تجمد دمها في عروقها وقالت:

- لم اكن اعرف ذلك.

- ولماذا تجاهلت تحذيراتي اذن؟

- لم افهم ما كنت تقوله. اعتقدت ان ...

- آه، تصورت باني اتبعك لغرض شنيع؟

- ضع نفسك مكاني!

نظر اليها بسخرية وقال:

- اعرف بأن الفتيات الانكليزيات لا تبالين بالاعراف. ووجودك هنا وحدك في هذه المنطقة النائية لا مبرر له. ما هي نواياك؟

- آه، لا، يا سيدي. لو كنت اعرف...

- دعينا من هذا الحديث، يا آنسة.

كيف ستتخلص منه الآن؟ هل يجب ان تشكره لانه نجاها من موت اكيد؟ رفعت عينيها نحوه وقالت:

- انا... انا لا اعرف لغتك ولم افهم ما كنت تقوله.

- لا اريد التحدث بهذا الموضوع بعد الآن.

اضطربت لوريل وارتفع الدم على خديها الشاحبتين وقالت:

- لكنني مصرة على ان اشكرك... لانك انقذت حياتي.

قام بحركة ليفرض عليها الصمت وقال:

- هل تشعرين بتحسن الآن؟

- نعم. ويجب ان ارتدي... الآن... ملابسي...

- نعم، نعم. انا لست احمق.

نهضت وقالت بغضب:

- انت وقح!

شعرت بالارض تدور حولها وتمايلت وكادت ان تقع لو لم يلتقطها ويشدها اليه ويقول:

- انت ما تزالين تحت تأثير الصدمة. اجلسي وقولي اين وضعت ملابسك. سأذهب واجلبها لك.

ما العمل، غير الطاعة؟ بعد لحظات عاد حاملاً السلة والملابس. ثم قال:

- والآن، سأسبح. وانت ارتدي ملابسك. لا تقلقي ولا تخافي، لن الح عليك بلطفي.

نظر الى ملامحها الشاحبة والمشدودة وقال:

- بصراحة، منظرك الآن ليس مثيراً، صدقيني. ولا ارغب في تمثيل دور المتلصص.

وقبل ان يتسنى لها الوقت ان تقوم بردة فعل حيال هذه الوقاحة

الغريبة، كان قد ركض وغطس في الماء. احتلها الغضب وتبعته بنظراتها. كيف يجرؤ على قول مثل هذا الكلام؟، لا، لم يسبق لها ان رأت رجلاً متعجرفاً ومقيتاً مثله.

ارتدت ملابسها بعصبية وسرحت شعرها قدر المستطاع. وشيئاً فشيئاً خف غضبها وراحت تشفق على نفسها. ليست جميلة المنظر، انه على حق، وكيف بالاحرى عندما تكون بهذه الحالة التي يرثى لها.

راودتها هذه الافكار القاتمة، وارتدت حذاءها وطوت المنشفة الزرقاء، وتمنت لو تستطيع الاختفاء قبل عودة الرجل الغريب.

القت نظرة سريعة نحو الماء... فما زال يسبح... اوف...

امسكت لوريل السلة واخذت طريق العودة، خائفة من المسافة الطويلة التي ستجتازها في هذه الحالة من التعب والارهاق. لكن هذا افضل من ان تبقى في الجوار.

وبعد بضعة امتار سمعت صوتاً سمرها مكانها. خرج الرجل من الماء واقترب منها وقال:

- الى اين ذاهبة، يا آنسة؟

- الى الفندق!

- الى فندق آلين؟ هل تعتقدين ان ذلك ممكن؟ امامك اكثر من عشرة كيلومترات.

- وماذا تريدني ان افعل؟ ان اخيم على هذا الشاطىء؟

- لا! نحن على بعد عشر دقائق من منزلي بامكانك ان تستحمي هنالك بالماء الساخنة وتسترجعي قليلاً. هيا، تعالي.

رجعت لوريل الى الوراء وقالت وهي تهز رأسها:

- كلا، شكراً، يا سيدي. شكراً للطفك الحساس، لكنني لا استطيع قبوله.

قال باستغراب:

- لكن لماذا؟

- لا اريد، هذا كل ما في الأمر... الى اللقاء.

- لحظة، ارجوك.

امسكها بمعصمها وادارها نحوه وقال:

- لماذا تخافين مني؟

- اتركني. انا لست خائفة منك!

- اذن، لماذا ترفضين ضيافتي؟

ابتعدت عنه بسرعة وقالت:

- هذا يسهل التكهن به! تتبعني حتى درجة اغراقي، ثم تتهمني بالمخالفة، واخيراً تسخر مني. وتريدني بعد كل ما حصل ان...

قاطعها قائلاً:

- لا تعرفين ما تقولين، يا آنسة. انا مستعد ان انسى اتهاماتك المجانية. لكنني ما زلت مصر بأنك لست في حالة تسمح لك بالعودة الى الفندق...

- لا احد في العالم يستطيع ان يدعني ابقى هنا لحظة واحدة. رغبتي الوحيدة هي الابتعاد بسرعة من هنا ونسيان هذه القصة وعدم رؤيتك من جديد!

وبعينين مغرورقتين انطلقت لوريل في الممر المرتفع. ولما وصلت الى ظل شجرة توقفت لحظة لاهثة والقت نظرة حولها. ما زال واقفاً مكانه. استدارت ثم التفتت نحوه من جديد، فرأته يلم المنشفة

الزرقاء، يضعها على كتفه ويأخذ الاتجاه المعاكس.

وراح قلبها ينبض بسرعة. واضطرب عقلها وظلت تتبعه بنظرها مدة طويلة...

٣ - خاتم وليل وحصان

لدى وصولها الى الفندق كانت لوريل مرهقة كلياً. في الطريق توقفت عدة مرات. والآن لا تستطيع ان تقوم بخطوة اضافية من دون ان تقع ارضاً.

كان الليل قد حل وشعرت بارتياح عندما رأت اخيراً المصابيح الحديدية تبث نوراً آمناً. وبصعوبة كبيرة اجتازت لوريل الشرفة الفارغة لتضع السلة على باب المطبخ. لا تطلب اكثر من حمام ساخن لتريح ساقيها المتألمتين، ثم النوم الباكر. ولحسن الحظ، الفندق لا يتبع التوقيت الاسباني، والعشاء يقدم في الثامنة بدل العاشرة، كما هو التقليد في اسبانيا.

كانت تجتاز البهو عندما سمعت صوتاً يناديها. انها السيدة آلين،

زوجة صاحب الفندق. وعلى مضض توقفت. اشارت لها المرأة بالدخول الى الصالون الخاص، قائلة بصوت منخفض:

ـ لو سمحت بلحظة، يا آنسة. لدي شيء سأقوله لك.

ـ طبعاً.

تبعتها لوريل الى الغرفة الصغيرة، محاولة اخفاء تعبها وقلقها. هل حصل شيء ما لأيفون في غيابها؟

سألت بقلق:

ـ ماذا جرى؟ حادث ما؟

اشارت السيدة آلين بعلامة النفي، لكن تعبير وجهها لم يكن مطمئناً، وما ان جلستا حتى باشرت السيدة الحديث قائلة:

ـ لا اريدك ان تعتبري كلامي عن سوء ظن. ومن مبادئي الا اتدخل في شؤون النزلاء... لكن هذه المرة اعترف بأنني متزعجة جداً...

تقلصت يدا لوريل على طرف المقعد وسألتها:

ـ لماذا اذن؟

يا الهي، هل وصل خبر مغامرتها الى الفندق؟ هل هناك شكوى ضدها؟

تلعثمت وهي تضيف:

ـ ماذا... ماذا حدث؟ ماذا فعلت؟

ـ آه، يا آنسة، الأمر لا يتعلق بك انت! لو كان جميع النزلاء لطفاء مثلك، لكانت حياتنا عذبة! للأسف، المشكلة تتعلق بالآنسة سيرل.

ماذا فعلت هذه الابنة المدللة؟

تابعت السيدة كلامها وكأنها تعتذر:

ـ اعرف جيداً بأنها ما زالت صبية ولا تفعل الا ما يدور في رأسها، لكنني اعتقد انه من واجبي ان احذرها.

ـ ضد ماذا؟

ـ انها تتصرف بطريقة تافهة وحمقاء مع احد العاملين هنا، الم تلاحظي ميلها الواضح الى رينالدو؟

تجهم وجه لوريل وقالت:

ـ لا... كيف اشك بذلك؟ لقد وصلنا منذ ثلاثة ايام فقط، وهذه اول مرة اتركها وحدها...

قالت السيدة آلين بلهجة قاسية:

ـ اذن فهي لم تضع وقتها. لقد فاجأتها في الحديقة آه، لا تقلقي... لا شيء يدعو الى القلق... لكن يتهيأ لي انهما امضيا فترة بعد الظهر معاً على الشاطىء.... المشكلة تحصل بسرعة... رينالدو شاب وسيم. لكن الفتيات الاسبانيات لا يتصرفن عامة بهذه الطريقة. آه، لا اعرف اذا كنت تفهمين ما اقصده. السياحة لم تقتحم الجزيرة بعد. في كل حال الكونت يمنع ذلك. نحن بعيدون جداً عن الوطن الأم وما زلنا نعيش هنا كما في العصر الماضي...

لوريل تصغي بشرود لشدة تعبها والسيدة آلين تتابع قائلة:

ـ جزيرة المصير ملكية اسبانية منذ اربعمئة سنة تقريباً، وحاكمها الحقيقي هو الكونت... يعيش في القصر الذي يسيطر على الجزيرة كلها. لا يسمح بالتطور والانماء الا تدريجياً - لدينا مستشفى صغير حديث الطراز، ومدرسة جديدة. الفقر غير وارد عندنا... لكن الباقي...

رفعت السيدة آلين كتفيها باناقة، فهزت لوريل رأسها موافقة بينما كانت تفكر بشيء آخر. تابعت المرأة تقول:

- ولهذا السبب اطلب منك ان تتحدثي مع الآنسة ميرل. حاولي ان تفهميها بأن سكان الجزيرة سيعتبرون تصرفها هذا فاسقاً. بالنسبة اليهم، تنقص قيمة الفتاة اذا تصرفت بوقاحة مع الرجال. اما الصبيان بدورهم فلا يتلمرون ابداً، بل بالعكس، خاصة امثال رينالدو الذي قضى مواسم السياحة على شاطىء الكوستا برافا وعاد ليتباه بانتصاراته النسائية. لا نريد شيئاً كهذا هنا. قضية آل سميث تكفينا . . .

حبست لوريل انفاسها وبتهذيب وليس عن فضول، سألتها:

- آل سميث اتوا الى هنا لتمضية بضعة اشهر مع ابنتها الوحيدة، التي ولدت بعد زواج دام عشرين سنة. ربياها تربية صارمة وجدية. والسيدة سميث جاءت لتقضي فترة النقاهة في هذه الجزيرة بعد مرض طويل. ولم يسبق للابنة ان رأت من قبل شاباً وسيماً مثل رينالدو. وبسرعة وقعت في غرامه. وصل السيد سميث الى هذه الجزيرة مع زوجته وابنته وبقي معهما اسبوعاً واحداً ثم عاد الى لندن لمتابعة اعماله. لكن عندما جاء ليصطحبهما الى بلاده في الوقت المحدد، كانت المصيبة قد حلت!

- ماذا حصل؟

- حملت الفتاة!

- وهل حصل ذلك هنا؟

- نعم. رينالدو اعترف بمسؤولية ما حدث. لقد ارتمت ساره في احضانه. ومع انه طلب يدها، لكن السيد سميث رفض باصرار. لم يسمح لابنته الوحيدة ان تعقد زواجاً جبرياً وهي ما تزال في السادسة عشرة من عمرها. وبسرعة حمل السيد سميث عائلته وعاد بها الى لندن. بعدئذ لم نسمع باخبارهم. اتساءل احياناً ما حل بساره . . .

والأهم ان الكونت كان حانقاً جداً . . .

وبعد هذا السرد الطويل توقفت السيدة آلين عن الكلام، لاهثة. اما لوريل فكانت تفكر بما سمعته. نهضت وقالت:

- اشكرك لتنبيهي لما حصل. سأتحدث في الأمر مع ايفون.

في اعماق تفكيرها تعرف لوريل بأن كلامها مع ايفون لن يجدي نفعاً. في كل حال ايفون ليست فتاة بسيطة وساذجة وتعرف ما ينتظر منها في حال قامت بمغامرة عاطفية.

غيرت السيدة آلين الموضوع وسألتها:

- هل قضيت نهاراً جميلاً؟

- نعم. والآن اعذريني، انا متعبة واريد ان آخذ حماماً ساخناً.

لكنها ادركت ان الوقت لن يسمح لها بأخذ حمام طويل، بل اكتفت بدوش سريع. التعب يضنيها لكنها قررت توضيح الأمور نهائياً مع ايفون من دون تأخير، فذهبت للتفتيش عنها. لكنها لم تجدها. ومن باب غرفة الطعام رأت رينالدو يضع الصحون على الطاولات، فشعرت بارتياح وراحت تغير ملابسها.

فوجئت لوريل بوجه ايفون وشعرها المشعث عندما وافتها الى صالة الطعام. بالكاد ذاقت وجبة الدجاج ونصف الحلوى، ودفعت فنجان القهوة جانباً.

انحنت لوريل نحو الفتاة الشاردة وسألتها:

- ماذا جرى، يا ايفون؟ لم تأكلي شيئاً.

- لست جائعة.

- هل الأمور سيئة الى هذه الدرجة؟

انتفضت ايفون بانزعاج وقالت:

- نعم. واذا كنت تريدين معرفة كل شيء، فأنا اعاني من آلام

المغص ومن ألم حاد في الرأس. سأتركك واذهب الى فراشي؛

خرجت من الغرفة كالصاعقة. التفتت الوجوه اليها، وزوجة الكولونيل عبرت عن استيائها بحركة من رأسها.

وما ان انتهت لوريل من احتساء القهوة حتى نهضت بدورها. هذا المساء لن تخرج الى الشرفة للقاء بقية نزلاء الفندق، كما هي عادتها بل صعدت الى غرفتها الواسعة التي تتقاسمها مع ايفون، مصممة على اعطاء ايفون حبة اسبرين مع فنجان شاي.

دخلت الغرفة على رؤوس اصابعها.

الغرفة مظلمة. اقتربت لوريل ببطء من سرير ايفون وانحنت فوقها وسألتها بصوت منخفض:

ـ هل تريدين شيئاً؟

لا جواب. وجه ايفون تحت الوسادة وتنفسها متناسق. كانت تنام نوماً عميقاً.

نظرت لوريل الى ساعة يدها: انها التاسعة، ترددت. الوقت ما زال باكراً للجوء الى النوم، لكنها متعبة جداً. خرجت الى الشرفة. في النهار يبدو المنظر رائعاً مطلاً على البحر. لكن هذا المساء، القمر هلال والجو غامض. مصابيح الحديقة تبث نوراً شحيحاً فوق التماثيل والقوارير الفخارية والشجيرات المنثورة فوق العشب الأخضر. الفراشات ترتمي على الزهر وغناء زيزان الحصاد يقطع الصمت الليلي.

وامام هذا الجو الرومنسي بدأت لوريل تحلم... حلمت بأن فيليب هنا، قربها... بأنها اخطأت تجاهه... بأنه يحبها حقاً... ليلة الكارثة امحت وعاد السلام كما من قبل.

اغمضت عينيها وهي تفكر به، لكن لم يكن وجه فيليب ما رأت... بغضب شديد دخلت الى غرفتها. الا يكفي ان فاجأها هذا الرجل الغريب وحيدة في الماء وعرّض حياته للخطر. انه الآن يحتل افكارها... حاولت لوريل ان تطرد صورته من ذهنها، فراحت تخلع ملابسها وتسرح شعرها وتلملم اغراض ايفون المبعثرة على البساط. ثم دخلت الى فراشها. لكن النوم طال: حوادث النهار ظلت تدور في رأسها كشريط سينمائي. ترى الشمس الحارقة والماء الشفافة والرجل الغريب المتعجرف بشعره الأسود وصوته العميق. الشمس والملح وذكرى ذراعي الرجل، كلها تحرقها بنار غريبة...

وبعدما تقلبت في سريرها مرات عدة، تمكنت اخيراً من النوم. لم تعد تسمع الأصوات الآتية من طرف الغرفة.

القت ايفون نظرات ارتباك على لوريل النائمة، ورفعت اغطيتها وارتدت ملابسها بسرعة. نظرت الى ساعتها المعلقة بسلسال في عنقها، ثم حملت صندلها، وعلى رؤوس اصابعها خرجت من الغرفة.

عندما انغلق الباب وراءها احدث ضجة صغيرة، فانزعجت لوريل في نومها، وجلست في سريرها واضاءت المصباح. ولما لم تر ايفون في سريرها، قفزت بسرعة وفتحت الباب. شاهدت ايفون على السلالم، فأسرعت نحوها وسألتها:

ـ ما بك؟ هل انت مريضة؟

ـ لا. عودي الى فراشك!

ـ الى اين ذاهبة؟

غضبت ايفون وقالت:

ـ اخفضي صوتك. ستوقظين الجميع. انا نازلة الى الطابق

الأرضي فقط.

ـ ولماذا اذن؟ لماذا لم توقظيني؟ لجلبت لك ما. . .

ولما رأت ايفون تهبط السلالم حافية القدمين، تبعتها وهمست تقول:

ـ لماذا ارتديت ملابسك؟

ـ لانني خارجة. حاولي ان تمنعيني! فهمت؟

امسكت لوريل بمعصم ايفون وقالت:

ـ اريد تفسيراً مفصلاً. ماذا جرى؟

ـ لا شيء.

في هذه اللحظة انفتح الباب على الممر وخرج منه السيد بينكلي الذي قال:

ـ ماذا يجري هنا؟ آه، آه. . . فتاتان جميلتان! هل انتما ذاهبتان الى موعد جميل؟

صرخت ايفون:

ـ اوف. يا لحظي السيء!

عادت الى الوراء ومرت قرب الرجل العجوز ثم دخلت الى غرفتها وصفعت الباب. بعد تردد قصير تبعتها لوريل والاحمرار يعلو وجهها. . .

ارتمت ايفون في سريرها تنتحب باكية فسألتها لوريل بجفاف:

ـ هل ستشرحين لي سبب كل هذا؟

ناحت ايفون ورأسها على الوسادة وقالت:

ـ انها غلطتك. لقد دمرت كل شيء. اذهبي عني. انا اكرهك!

ـ ماذا تعنين؟ منذ قليل قلت لي بأنك متعبة والآن تهربين في السر. . . اريد ان اعرف لماذا؟

لم ترد، فاقتربت لوريل من سرير ايفون وقالت:

ـ هل سمعت ما اقوله؟ الى اين كنت ذاهبة؟

ـ لدي موعد.

ـ موعد؟ في هذه الساعة المتأخرة؟

ـ والآن، فات الأوان! لن يسعني الحصول عليه. آه، ماذا سأفعل؟

ارتبكت لوريل وانحنت فوق ايفون الباكية وقالت:

ـ ماذا تعني هذه القصة الغامضة؟ هل ستشرحين لي مفصلاً؟

ـ انه خاتمي.

ـ الخاتم؟

ـ خاتم الياقوت. سعره باهظ. اهداني اياه والدي في عيد ميلادي. وسيغضب مني.

ـ هل اضعت الخاتم؟

ـ نعم. اليوم.

تذكرت لوريل الخاتم الذهبي وحبتي الياقوت على شكل حية. لاحظته في اصبع ايفون عندما دعاهما غوردن سيرل الى الغداء. لماذا ارتدت ايفون هذا الخاتم الثمين في هذا المكان المنعزل؟

ـ متى رأيته آخر مرة؟

ـ لا اتذكر جيداً. . .

ـ هل كنت تلبسينه اليوم؟

ـ نعم.

ـ الى اين ذهبت في غيابي؟

ـ اوه. . . لا ادري. . . الى شاطىء البحر. . .

فجأة انتفضت الفتاة وجلست على السرير وصرخت وهي لا تجرؤ

على النظر الى لوريل:

- آه، وماذا بعد؟ سأقول بأني اضعته وهذا كل ما في الأمر!

- لا افهم ما تقولين. اذا لم تجدي هذا الخاتم، ساضطر الى اعلام السيدة آلين بذلك كي تعلن بدورها عنه في مركز الشرطة.

- آه، لا! لا! ارجوك. لا تقولي شيئاً!

جلست لوريل على السرير ووضعت يداً حنونة على ذراع الفتاة وقالت بلطف:

- هيا، اخبريني كل شيء.

- شرط ان تعديني بالاحتفاظ بالسر.

تنهدت لوريل وقالت:

- لا اريد سوى صالحك، يا ايفون.

- اذن، دعيني اخرج من هنا. واذا عارضت، ستوقظين جميع نزلاء القصر.

- اسمعي، يا ايفون. لست ساذجة ولا فتاة صغيرة. لن تدعيني اصدق بأنك اضعت هذا الخاتم. مع من كنت على موعد؟

- مع رينالدو. هو الذي يحمل خاتمي.

- وكيف حصل هذا...

- كنا على الشاطىء بعد الظهر ونسيت انني البس خاتمي، فلاحظه رينالدو وقال لي بأنني ربما اضعته في الماء. اردت ان اعود الى الفندق لاخبئه في حقيبتي، لكنه اقترح علي ان يعلقه بسلسلة عنقه.

هزت لوريل رأسها، فتابعت ايفون الكلام:

- قبلت عرضه، لكن عندما طلبت منه ان يعيد لي الخاتم، بعد السباحة، قال لي ان آتي لآخذه بنفسي. وحينئذ بدأ يغازلني و... و...

- ورفض ان يعيد لك الخاتم، اليس كذلك؟

- نعم. وعدني ان يعيده الي هذا المساء، في منتصف الليل، في الخليج الصغير الواقع خلف القرية.

- يا مسكينة! وصدقت كلامه؟ الا تعرفين بأنه يسخر منك؟

- آه، ثقي بي. اعرف تماماً كيف اعامل هذا النوع من الاشخاص.

- حتى الآن فشلت في ذلك. هيا يا ايفون، دعك من هذا التصرف الطفيلي. رينالدو ليس سوى رجل متهتك يفتخر بمغامراته النسائية. لقد حدثتني عنه اليوم السيدة آلين.

- لكنه لم يخف علي شيئاً. هل غلطته اذا كانت النساء ترتمي في احضانه؟ ومهنته تطلب منه ان يهتم بهن. لكنه لا يذهب ابعد من ذلك. ارجوك لا تعامليه كأي غاو سخيف!

- هل تعرفين، بأنك تذهبين وراء الكارثة، يا ايفون؟ انا التي ستستعيد الخاتم منه.

- انت!

- نعم. وعدت والدك بأن اسهر عليك وسأفعل ذلك. هيا، يا ايفون، عودي الى فراشك ونامي والا سأغضب منك.

ارتدت لوريل ملابسها بسرعة واقنعت ايفون بالبقاء وخرجت من غرفتها ببطء وصمت كالظل. وبينما كانت تهبط في سرعة عبر الطريق المتعرجة المؤدية الى القرية تمنت لو كانت هذه الجزيرة تعج بالسكان. كانت ترى، وراء النوافذ المطلة على الشرفات الحديدية، اضواء واصواتاً وصراخ الأولاد وضجة المذياع. وحدها في الخارج، فريسة هلع كبير. حبست صرخة رعب لدى عبور هرة بشكل مفاجىء. وما ان اجتازت القرية حتى وجدت نفسها في قلب الريف.

توجهت الى الخليج الصغير حيث موعد اللقاء. ماذا سيحدث اذا تمنع رينالدو عن اعادة الخاتم؟ ليس لديها القوة الكافية لاخذه منه قسراً. وربما لن يأتي الى الموعد بنية مناكدة ايفون. من المستحيل الآن ان ترجع الى الوراء. تقدمت بخطوات حذرة وسط الظلال التي تعكسها اوراق الشجر، وما ان وصلت الى الشاطىء الرملي الفاتر حتى نظرت حولها، تصغي: الصمت تام تقريباً. العصافير نائمة، والأمواج الصغيرة تلتقي بهمس بالشاطىء القاحل. سيطرت على خوفها وتقدمت خطوات قليلة قبل ان تتسمر مكانها. هل نصب رونالدو فخاً لايفون؟

- سينيوريتا...

حبست لوريل صرخة رعب ودارت حول نفسها باحثة عن مصدر الصوت. وخلال ثوان قليلة، لم تر احداً. ثم ظهر ظل قرب الصخرة وسمعت ضحكة صغيرة.

- ها انت اخيراً. بدأت اصدق بخيبة الأمل.

ظل وجه لوريل في الظل. فقالت ببرود:

- لكنني سأخيب املك، يا سيد.

اختفت الابتسامة عن وجه الرجل الذي انتفض لدى سماعه صوتاً مجهولاً. ثم قال:

- لا افهم. ماذا تفعلين هنا؟ اين الآنسة سيرل؟

- في الفندق.

تقدم منها وقال بقسوة:

- لماذا لم تأت الى الموعد؟

- هذا ليس من شأنك. اين خاتمها؟

قال بسذاجة متصنعة:

- اي خاتم؟

سيطرت لوريل على ارتجاف يديها وقالت:

- انت تعرف جيداً. اعني خاتم الآنسة سيرل الذي وكلتك به بعد ظهر اليوم...

وضع يده خلف ظهره وقال:

- انه ليس لك، يا آنسة. لن اعيده الا لصاحبته.

- اولاً، لا يحق لك الاحتفاظ به!

- هل هذا تهديد، الآن؟

- لم ابدأ بعد. اطلب منك ببساطة ان تعطيني الخاتم الآن.

- بامكانك ان تطلبيه بلطف. في كل حال، انها مزحة وحسب...

- انا لا افهم المزاح الاسباني. الوقت متأخر وانا متعبة. اعطني الآن الخاتم وتنتهي المشكلة!

نظر اليها مفصلاً، من رأسها حتى اخمص قدميها ثم قال:

- آه لا، ليس بهذه السرعة. لا تنسي بأنك سببت لي ضرراً كبيراً.

- هيا، لا تكن احمق!

- بل. لقد حرمتني من لقاء جميل مع الآنسة ايفون، هذا اللقاء الذي كنت اتوق اليه بشدة... لقد حدثتني عنك كثيراً... اعرف ان والدها وكلك بها، وبأنك تقيدين حريتها...

اكتفت بالرد ببرود:

- لا انوي متابعة هذا النقاش. هل ستعيد الخاتم الي؟ ام تريدني ان استنجد بالشرطة؟

- آه، لا. لكنك تقومين بتهديدي على ما ارى!

بحركة مفاجئة وغير منتظرة، امسكها من كتفيها وقال متابعاً:
ـ او ربما هذا التدخل من قبلك يخفي نوايا سرية؟
ابتعدت عنه وقالت:
ـ وعن اية نية تتحدث؟
امسكها من جديد من كتفيها وشد عليها وقال بصوت لطيف ومتصنع:
ـ الغيرة مثلاً.
ـ ماذا بعد! يا له من غرور وغطرسة! لا ينقصك شيء، لا المخيلة ولا الوقاحة! ابتعد عني!
ـ هذا الأمر غير وارد! هذا الكلام يقال دائماً... في البداية... قولي لي، هل صديقتك خائفة مني؟ هل ارسلتكِ لتدفعي عنها الرهن؟
ـ الرهن! اي رهن! لكنك بدأت تهذي ابتعد عني والا سأصرخ!
ـ لن يسمعك احد، يا ايتها الحمقاء المسكينة!
جذبها اليه وحاول ان يعانقها. راحت تتخبط بكل قواها، لكنه تمكن من وضع ذراعها وراء ظهرها. فاحتلها الخوف حين قال:
ـ لا انخدع بسهولة، اعرف جيداً ما تريدينه! انتن النساء كلكن شبيهات!
ضحك وشد عناقه. صرخت لوريل بغضب عندما مد يده الى صدرها. رفست كاحله، فصرخ ألماً وقال:
ـ يا ايتها الشريرة الفاسقة! ستدفعين ثمن فعلتك!
نجح في رميها على الرمل، فراحت تنتحب وتبكي «يا الهي، كيف سأستطيع التخلص من هذا المجنون الغاضب الذي يصمم على الحصول علي؟». راحت تجاهد بكل قواها ضد هذا الحيوان المفترس وتمكنت من تحرير ذراعها والصراخ: «النجدة! النجدة!»
فجأة انعكس ظل عليها. وسمع شجار قصير وسقوط. وجدت لوريل نفسها حرة. انتشلتها يدان قويتان من كتفيها لمساعدتها على النهوض. ثم سمعت صوتاً ناعماً يقول:
ـ هل اصبت بأذى، يا آنسة؟
آه، لقد نجوت! حقاً نجوت! رأت من جديد السماء المنجمة ووجه الرجل الواقف على بعد سنتمترات من رأسها، لمن هذا الصوت المعروف؟ لكن... اليس صاحبه الرجل الغريب؟
وضعت يدها على جبينها لتبعد خصلات شعرها المشعث. بالكاد تعي ما حدث لها. لكن عندما رأت رينالدو ينهض ويستعد للهرب ارادت ان تلحق به وصرخت:
ـ اوقفه! لقد اخذ خاتمي!
خانتها قدماها، فسقطت بثقل على الرمل. وفي هذه الاثناء، كان مخلصها قد التقط رينالدو. فقال الرجل الغريب:
ـ يا ايها القذر، الا يكفي ان تتحرش بالنساء، بل تسرقهم ايضاً؟
بعد مناقشة عنيفة بالاسبانية، اختفى رينالدو وراء الجدار وعاد الغريب الى لوريل، ويده مفتوحة نحوها وقال:
ـ هل هذا لك؟
نظرت لوريل الى الخاتم البراق في قعر يده واكتفت باشارة ايجابية من رأسها، مضيفة:
ـ انه خاتم صديقتي.
ـ هل انت اكيدة بأن هذا الرجل لم يؤذك؟
احمرت خجلاً وقالت بتلعثم:
ـ اشعر... شكراً... لكن... لو لم تأت...

وبينما كانت تتكلم، كانت تحاول النهوض وترتيب ملابسها. لكن يداها خانتاها فراحت ترتجف كورقة غير قادرة على حبس دموعها.

وبعدما تأملها الغريب فترة طويلة، انحنى فجأة وحملها كأنها طفل صغير وقال:

- لست بحالة جيدة. حادثتان في يوم واحد هل هذا من عاداتك؟

لم تستطع ان ترد بوضوح، فهزت رأسها متعبة. فالتفت الغريب الى حصانه وقال:

- اذا حملتك على ظهر حصاني، هل تستطيعين الجلوس وحدك فترة قصيرة كي اتمكن من الصعود بدوري؟

- نعم.

حملها الى ظهر الحصان، شعرت كأن الدنيا تدور حولها، فتمسكت بعنق الفرس وبعد ثانية كان مخلصها وراءها، متمسكاً بها لئلا تقع.

- اسندي ظهرك الي واسترخي...

- انا... هذا لطف منك، يا سيد، لكن لا حاجة لايصالي، فانا قادرة ان...

- في هذه الحالة؟ لا تستطيعين اجتياز خمسة امتار!

بدأ الجواد يهز رأسه، فتقلصت لوريل عفوياً. امرها بلطف قائلاً:

- قلت لك ان تسترخي! انا متمسك بك ولا خطر عليك من السقوط.

لكز الحصان بلطف، فسار ببطء على طول الشاطىء، غير منزعج من الحمل الثقيل. وشيئاً فشيئاً، هدأت لوريل واسترخت على صدر الرجل الغريب، وشعرت بالأمان. لكن عندما لاحظت بعد قليل

انها ليست في طريق العودة الى القرية، شعرت بالخوف وانتفضت. فقال لها الرجل وهو يشد عليها:

- لا تخافي، يا آنسة. سآخذك الى منزلي. لست في حالة تسمح لك بالعودة الى الفندق.

- لكن، انا...

- دعيني اهتم بالأمر بنفسي. معي لا خطر عليك اطلاقاً. انا والعاملون لدي اشخاص متمدنون.

- هذا لطف منك، يا سيد وانا مدينة لك. لكن الوقت ليل والساعة تجاوزت منتصفه...

- وماذا بعد؟

ما هو ردها على هذا السؤال؟ لو لم يصل الى الشاطىء في هذه الساعة المتأخرة من الليل، لحلت بها الكارثة! فضلت عدم التفكير بالأمر. اذن لماذا المناقشة؟ لماذا طرح الاسئلة؟ في هذه الزاوية البعيدة من هذا العالم، تشعر وكأنها وحيدة مع هذا الرجل الصامت الذي تنبع منه حرارة تبعث على الاطمئنان والاضطراب في آن واحد. لا شيء له اهمية بعد ذلك. الكابوس ابتعد.

على بعد بضعة مئات من الأمتار انعطف الشاطىء نحو لسان الجبل الداخل في البحر. فأخذ الحصان طريقاً قاسية تحيط بها الشجيرات النحيلة. وشيئاً فشيئاً اصبحت النباتات اكثر كثافة واتسعت الطريق. في الهواء الفاتر، الازهار غير المرئية تفح عطورها الزاهية، والحشرات الليلية تطير حولها وتلمسها باجنحتها.

فتحت عينيها ورأت سياجاً قرب السماء الزرقاء الغامقة، ثم قصراً ضخماً مزيناً بالابراج. اظهرت تعجباً لا ارادياً. كيف لم تفطن الى

ذلك من قبل؟

وصلا الآن الى القصر. هذا الرجل الغريب الذي قفز ثم مد لها ذراعيه، ليس هو اذن ... سوى الكونت.

٤ - موعد فلقاء ... ولكن

- اهلاً وسهلا بك الى فالديروزا!

قال الكونت هذا الكلام بلهجة ساخرة وهو يتقدمها تحت القنطرة الحجرية المؤدية الى داخل القصر.

دخلا بهواً واسعاً سقفه ملبس بخشب السنديان، واللوحات العديدة ذات الأطر المذهبة. بساط رائع يغلف جداراً بكامله. والمكان يعج بالخزائن المحفورة والكراسي العالية والخزف الذي يملأ الرفوف الى جانب الأواني الفضية والتحف الفنية النادرة. المصابيح الجدرانية المذهبة تبعث نوراً خرافياً على كل هذه الروعة.

سحرت لورين بهذا الاكتشاف والتفتت ببطء حولها وانتفضت عندما اشتبكت نظراتها بنظرة الرجل الغريبة الباردة. دخل خادم

بصمت وانحنى امام الكونت. فاعطاه صاحب الدار تعليمات ملخصة قبل ان يقول الى لوريل:

ـ اتبعي جوزيه. سأوافيك بعد لحظة.

لا شك انه يريد وضع حصانه في الاسطبل. فجأة شعرت بالخجل لرؤية الخادم صاحياً في هذه الساعة المتأخرة، فتبعته في ممر طويل. فتح جوزيه باباً ثقيلاً منحوتاً، بمصراعين ثم قال:

ـ هذه هي قاعة الاستقبال.

ثم اشار لها الى باب آخر واضاف:

ـ ومن هنا، تجدين الحمام.

اختفى جوزيه ودخلت لوريل الى الحمام الحديث الطراز والمبلط بالحجارة الزرقاء التوركوازية المتناسقة مع المغسلة والمغطس والمناشف السميكة.

غسلت وجهها مطولاً بالماء البارد. وبفرشاة نظفت ملابسها الملطخة بالرمل وسوت هندامها. ثم سرحت شعرها وعادت الى قاعة الاستقبال. انها غرفة متوسطة الحجم، داخلها الرفوف تحمل الكتب العديدة، واللوحات الحديثة والبساط السميك الفاتح واريكة ومقاعد مريحة. على طاولة منخفضة قرب النافذة قيثارة اسبانية اضفت جواً دافئاً على المكان.

جلست لوريل باسترخاء على الاريكة واحست بتعب بعد هذا النهار الحافل بالحوادث العديدة والانفعالات المختلفة. آه، لو تملك آلة لاعادة الزمن الى الوراء... فلسوء حظها التقت بالشخص الوحيد، الذي كان عليها ان تؤثر فيه تأثيراً جيداً. ولا شك ان مشروعها قد فسد. لم يخف لها عن نظرته تجاهها... بعد سباحة بعد الظهر ومحاولة النيل منها... آه، لو لم تتصرف ايفون تصرفاً احمق!... ايفون... آه، ستقلق لعدم عودة صديقتها. عليها ان تعود الى الفندق الآن. نهضت من مكانها وفي الحال انفتح الباب. فواجهتها النظرة الباردة لصاحب الدار المندهش.

قالت متلعثمة:

ـ يجب... نعم، يجب علي ان اعود الى الفندق.

ـ لكنك وصلت لتوك! ابقي فقط لاحتساء القهوة التي ذهب جوزيه لتحضيرها.

جلست وقالت:

ـ آه، لا حاجة للانزعاج من اجلي. الوقت متأخر جداً.

قال بجفاف:

ـ ليس من المفروض ان تفاجأي من تأخر الوقت، ما دمت قد اعطيت موعداً في منتصف الليل.

ـ ليس انا من حدد هذا الموعد.

ـ لكنك ذهبت اليه بنفسك... آه، ها هو جوزيه.

وضع جوزيه الصينية واختفى بصمت كما دخل. رمق الكونت لوريل بنظرة غريبة وقال:

ـ هل بامكاني ان اطلب منك خدمة؟ اليس من عادة بلادكم ان تقوم الفتاة بتقديم القهوة مكان ربة المنزل؟

احمرت لوريل امام نظرته الساخرة وتوجهت الى الطاولة وحملت غلاية القهوة الفضية وسكبت القهوة السوداء العطرة في فنجانين. قدمت فنجاناً الى الكونت وقالت:

ـ يبدو انك مطلع على عادات بلادنا، يا سيد.

ـ لقد امضيت بعض الوقت في بلادكم.

حمل الفنجان وانتظر لوريل كي تجلس وجلس بدوره. قال:

- يخيل الي بأنك لا تتقيدين بعادات بلادك

كادت ان تختنق، ثم قالت:

- ماذا تقصد؟

ابتسم قليلاً واجاب:

- ليس لطفاً مني ان الح على ما اقوله. واخشى ان اوترك اكثر، في ساعدتك على تذكر. . .

احمرت لوريل واخفضت وجهها ببطء وجرعت قهوتها قبل ان تقول بصوت متقطع:

- انا اشكرك على استقبالك لي، يا سيد. وعلى كل ما فعلته من اجلي اليوم، لكن يجب علي ان اعود الى فندقي.

- لماذا؟

- لأن الوقت متأخر. . . لم نتعرف الى بعضنا بعد. . .

ضحك بصوت مرتفع وقال:

- انت في اجازة وتعيشين في الفندق وليس في الدير! لا تحبين البقاء هنا، لاننا لم نتعارف بعد على بعضنا، كما هي الأحوال. هل تخافين من الاشاعات؟

- اوه. . . اذن. . . نعم. اخاف. . .

قال بسخرية:

- لا تقولي بأن الاعراف تخنقك! لن اصدق ذلك منك، خاصة بعد ان رأيتك بعد الظهر اليوم تسبحين وحدك كما انك اعطيت موعداً في منتصف الليل مع غاو محترف.

قالت بعنف:

- بلى، اصر على مجاراة الاعراف! لا تتهمني بأشياء لا علاقة لي بها. لا احب ان يسخر احد مني.

- معاذ الله، يا آنسة. سامحيني، ارجوك. كيف بامكاني ان اعوض عن ذلك؟

- لا اطلب منك الا شيئاً واحداً، وهو ان تصدقني. اقول لك مرة اخرى بأن موعد منتصف الليل لم يكن مخططاً له من قبلي.

- اشرحي لي لماذا انوجد خاتمك في حوزة رينالدو.

- الخاتم ليس لي بل لايفون. واردت ان اجلبه مكانها.

ترددت لحظة. ثم قالت:

- لم يكن مناسباً ان تذهب بنفسها الى هذا الموعد. . . ومن هنا حصل سوء التفاهم هذا.

- لا افهم شيئاً، يا آنسة. لماذا اعطيت لرينالدو خاتماً لا يخصك؟ ام هل سرقته؟

- آه لا، كلا، ابداً.

قررت ان تكون صريحة معه وتقول الحقيقة، فأضافت:

- في الواقع انا مسؤولة عن ايفون. والدها اوكلني بها، لابعاد عن شاب فاسق تعلقت به. انك ترى بنفسك، انني لم اقصد ان ارميها بين ذراعي رجل آخر مثل رينالدو. لذلك قررت ان من واجبي التدخل في الأمور التي تتعلق بها.

اطلقت زفرة سرية وعم الصمت. رفعت لوريل عينيها والتقت بنظراته المتفهمة سألها:

- ما عمر ايفون؟

- ستة عشر سنة.

هز رأسه وقال:

- افهم جيداً شعورك نحوها، يا آنسة. ذلك لانني نفسي، انا ايضاً اجابه قصة من النوع نفسه.

- انت؟
ابتسم بمرح وقال:
- هل تعتقدين بأن هذه المشكلة لا وجود لها عندنا؟ حتى هنا، حيث التقاليد محترمة وصارمة نجد انفسنا معرضين لما يرفضه هذا الجيل الشاب لأي شكل من اشكال السيادة والسطوة.
تذكرت لوريل فجأة عمتها العجوز التي ربتها بعد وفاة والديها، اي عندما كانت طفلة. التربية الجدية الصارمة التي اعتمدتها العمة اديل اثرت بالفتاة تأثيراً عميقاً. وربما هذه الحشمة الغريزية، هي التي افسدت علاقتها مع فيليب، الذي لم يكن يفهم معنى تحفظها القوي، هي الفتاة الحرة والمستقلة.
انحنى الكونت يراقب بتمعن وجه الفتاة الجميل المعبر وقال:
- هل تعتقدين، انت ايضاً، بأن التقاليد الصارمة يجب ان تعود؟
- يتعلق الأمر بنوعية هذه التقاليد والشخص الذي يتعامل معها.
- في مثل هذه الحال، الأمر يتعلق بفتاة طائشة، ووقحة، اذن؟
امام صمت لوريل تابع الكونت يقول:
- ابنة عمتي تكبر صديقتك بقليل. ولقد تعلقت هي ايضاً بشاب رفضته عائلتها قطعياً. انه عاطل عن العمل، يحوم حول ثروتها. كارلوتا تصبح غنية عندما تبلغ سن الرشد، ولا نريدها ان تنخدع به ونحاول ابعادها عن هذه التجربة الى ان تعود الى رشدها. ستصل في نهاية الاسبوع المقبل.
- الى هنا؟
- نعم. لست فرحاً جداً بهذا المشروع. انها تحب كثيراً ان تأتي لزيارتنا. لكن في الظروف الحالية...
لم يكمل كلامه. سألته بحذر:

- لا شك ان ابنة عمك فتاة تعيسة. ربما هي تؤمن بصدق هذا الرجل؟
- مهما حدث، فالقضية اقفلت نهائياً. لن تراه بعد الآن وستنساه بسرعة. الفتاة، عندما تكون في السادسة عشر من العمر، لا تعرف ما تريد. اما بالنسبة الى عواطفها...
قاطعته لوريل بحدة قائلة:
- ليس كلامك العسلي، الذي سيمنعها من الألم والعذاب.
- تضعين نفسك الى جهتها على ما ارى. لكنك تدخلت في شؤون ايفون، بحجة انك تفعلين صالحها. انت فتاة غريبة ومتناقضة وغير منطقية، يا آنسة!
رفعت الفتاة كتفيها بتعب. هذا الحديث ارهقها. لكنها قالت:
- كيف بامكاني ان اضع نفسي بجانب الفتاة وليس ضدها، وانا لا اعرف شيئاً عن المشكلة التي تعانيها؟ اما بصفتي غير منطقية... فانت حقاً صادق باتهامي... فقط لانني لست من رأيك.
ابتسم بتقلص وبرقت عيناه وقال:
- في كل حال، عندما ترين كارلوتا، ستدركين انها ليست بحاجة لان يدافع احد عنها.
هزت لوريل رأسها وقالت:
- في كل حال، الأمر لا يخصني مباشرة.
ثم نهضت وقالت:
- انا متعبة واريد العودة الى الفندق.
نهض بدوره وقال:
- آه، اعذريني. سأوصلك الى الفندق، لكن قبل ذلك...
تردد فسألته:

- ماذا؟
- كم من الوقت ستبقين في هذه الجزيرة؟
- شهر تقريباً.
- وهل وصلت الى هنا منذ وقت طويل؟
- منذ اقل من اسبوع. لكن... لماذا هذه الاسئلة؟
- لاسباب عديدة. من المستحيل ان تبقي، من الآن فصاعداً، في الفندق.
- لكن لماذا؟ لقد حجزنا فيه لمدة شهر بكامله.
- لكن الأمر الآن لم يعد مناسباً، بسبب ما حدث حتى الآن.
- كيف؟
- عليك الحذر من الآن فصاعداً. لقد هاجمك احد مستخدمي الفندق، لا تنسي. طبعاً ليست غلطتك... لقد تصورت ان رينالدو قد فهم بعد الذي حدث في الماضي...

لم يكمل كلامه وتذكرت لوريل قصة ساره... لكن هل سيأمرها بمغادرة الجزيرة؟

- بالنسبة الي شخصياً، افضل ان انسى كل ما حدث. ولا اعرف لماذا يجب علينا ان نعاقب. لن نلغي عطلتنا بحجة علاقة عاطفية عابرة، كانت لها نهاية مأساوية.
- هل شعرت بالخوف؟
- نعم. لكن هذا لا يكفي كي اغادر الفندق الوحيد الموجود في الجزيرة.
- وماذا اذا استضفتكما عندي؟
- ماذا؟
- لا تنظري الي كأنني انسان مجنون. فكري بالأمر. ستنصاب

ستفهمينني بدل الغضب؟
- لن اسمع شيئاً طالما...
- دعيني اكمل حديثي، من فضلك.

فضلت السكوت على رؤيته غاضباً. فتابع يقول ببطء مدروس:

- نحن الاثنان تسرعنا في اصدار احكام عامة واخطأنا، الا تفهمين بان التصرف الوقح لدى بعض الفتيات يمكنه ان يسبب ضرراً للآخرين؟ ومثال على ذلك، ما كاد ان يحدث لك من جراء غلطة ارتكبتها صديقتك. ونتيجة ذلك تضعيني في فئة الغاوين مثل رينالدو. انا لم احاول الحكم عليك، اقسم لك بذلك.

تنهد ولامس خدها بلطف وتابع يقول:

- الفتيات الطائشات لا تحمر خدودهن بسهولة انما انت خجلت بعد الظهر واحمرت وجنتاك. وها انت الآن تفعلين الشيء نفسه...

شعرت بانزعاج وقالت:

- دعك من هذه القصة الرهيبة. افضل ان انسى ما حصل بسرعة!
- انا لا احب نسيان ذلك بشكل خاص.

سكت قليلاً ثم اضاف:

- حسناً. لن افتح هذا الموضوع بعد الآن، لكن بشرط واحد، وهو ان تدفن العدائية بيننا ونقر السلام.

رجع الى الوراء. لكن لوريل ظلت جامدة مكانها لا تعرف اين هي من كل هذا. ترغب في تصديق الرجل والقبول بتفسيراته، وفي الوقت نفسه لا تريد الاستسلام لجاذبيته القوية. ما معنى هذا التغيير الجذري من قبل الكونت؟ توجهت الى الباب وقالت:

- حسناً، ما دمت تريد ذلك.

ترددت ثم نظرت اليه وقالت:

ـ عادة، لا اغضب بسهولة. لكن هذا النهار كان مختلفاً.

ـ انا اصدق كلامك واوافق معك.

ـ شكراً لكل ما فعلته لانقاذي. وشكراً على القهوة. والآن، د بأنه من الأفضل ان. . .

قفت لدى رؤية ابتسامته المرحة. فقال:

ـ آه، يا الهي، لن افهم ابداً النساء الانكليزيات. . .

هز رأسه مرتبكاً وفتح الباب. ولما اصبحا خارج القصر، كانت الساحة مضاءة وسيارة نحاسية تنتظرهما. بدت الجزيرة، في ضوء القمر، ساحرة وسرية. وبعد دقائق معدودة وصلت الى الفندق.

قف الكونت السيارة امام الباب وقال:

ـ آه، لا شك انك متعبة. اعذريني اذا حجزتك مطولاً.

ترددت لحظة قبل ان تقول:

ـ آمل الا تكون جدياً في ما يتعلق بمغادرتنا الجزيرة؟

ـ لكن، لم الح الى ذلك ابداً. اكتفيت بالقول بأنك لا تستطيعين البقاء في الفندق بعد الذي حدث. وما زلت اصر على ذلك.

ـ هل كنت تقصد بأن. . .؟

ـ نعم. فكرت بأن ابنة عمتي ستكون فرحة لرفقة الفتيات فعمتي التي تعيش معنا، هي الآن خارج البلاد في زيارة اصدقائها، ولا تنوي العودة بهذه السرعة لمراقبة كارلوتا. اما انا فسأضطر للسفر الى مدريد من اجل القيام بأعمال ملحة ولن يطول غيابي. لكن ابنة عمتي ستجد نفسها وحيدة، وهذا الأمر لا يعجبني. جدتي، امرأة مسنة، وليست على استعداد لتحمل مزاج هذه الفتاة العنيدة. ومن بدري، ربما ارى لدى عودتي بأن العصفور قد اختفى!

ـ بدأت افهم ما تقصده. والمشكلة ليست سهلة. لكن هل تعتقد بأن وجود الغرباء سيغير الامر؟

ـ آه نعم! اطلب منك ان تفكري ملياً باقتراحي. واذا قبلت، سنصيب هدفين برمية واحدة. اذا رفضت، سأطرد رينالدو من عمله وستعاني آلين مشكلة ايجاد من يحل مكانه. وهذا الأمر صعب جداً في هذا الموسم.

ـ آه، صحيح؟

ـ انت لا تعرفين الجزيرة ومواردها ونوعية ومستوى العمال فيها. دعيني اكون الحكم الوحيد.

ـ طبعاً، يا سيد. لكن علي ان افكر ايضاً بالوضع المالي لهذه القضية. لا ادري ما افعله لقد دفعت اجرة الفندق مسبقاً.

راح يضحك بطيبة خاطر وقال:

ـ آه، انتن الانكليزيات عنيدات! لا تقلقي. لا احد سيخسر، لا انت ولا السيدة آلين. سأشعر بأمان اذا كنت في حمايتي. لكن اعذريني ان قلت لك بانك تجلبين الكوارث كالصاعقة. الله وحده يعرف ما يمكن ان يحل بك، في «جزيرة المصير» حتى نهاية اقامتك!

كادت ان ترد عليه لاتهامها بافتعال الكوارث، لكن تحلت بالوعي الكامل وقالت:

ـ انت لطيف حقاً، يا سيدي وانا مدينة لك بالشيء الكثير. لكن لست مضطراً لان تأخذ تحت حمايتك فتاتين غريبتين. وفي ما يتعلق بابنة عمتك. . . اوه. . . سأكون فرحة للتعرف اليها. ومرافقتها قدر المستطاع.

ـ لقد افهمتك بأن لا دين بيننا، وبالتالي لا وفاء للاحسان. .

لمعت عيناه غضباً وقال:

ـ كيف سأتوصل الى اقناعك؟ هل تعتقدين بأنني اتصرف تجاهك بداعي التهذيب؟

ـ كلا، كلا، ابداً. ارجوك لا تفكر ابداً بأنني...

ـ اسمعيني ايضاً مرة أخرى، يا آنسة. نحن ايضاً لدينا عاداتنا وتقاليدنا. عندما غادرت القصر الآن، كان بامكاني ان اقول لك: «انت هنا في منزلك». لكنني لم افعل ذلك، لانك غريبة. قولي بصراحة، هل تعتقدين بأني اتكلم في الهواء؟

ـ لا، ابداً. آه، حاول ان تفهم! لا اريد ان استغل كرمك ولطفك. ارى بأنني جرحت شعورك. ليس هذا قصدي، صدقني.

ران صمت قصير، ثم وضع يده في يدها وقال:

ـ اعرف ذلك. والآن اتركك. سأراك غداً لنضع النقاط على الحروف.

طبع قبلة على يدها، فاعتقدت لوريل بأنها تحلم. امامها رجل انيق ولبق يساعدها على الخروج من السيارة ويرافقها حتى عتبة الباب ثم ينحني ويقول قبل ان يبتعد:

ـ الى اللقاء. لا توقظي النائمين.

توقفت لوريل امام الباب، تنظر اليه يبتعد في الليل. شعرت وكأنها تحلم في نهاية هذا النهار الحافل. في الصباح، عندما ذهبت لاستكشاف الجزيرة، لم يكن الكونت موجوداً. اما الآن فيبدو انه يملأ عالمها...

ـ لوريل، اين ذهبت؟

ظهرت ايفون في اعلى السلم، قلقة، وتابعت تقول متهمة:

ـ كدت اجن! من هو؟ رأيت السيارة...

وقبل ان يتسنى للوريل ان ترد، مدت ايفون يدها وسألت:

ـ هل حصلت عليه؟

حدقت بها لوريل لحظة، فمها مفتوح ونظرتها لا تعبر عن شيء. ثم كادت ان تنفجر بالضحك امام سخافة الوضع. هذا الخاتم اللعين، سبب كل عذاباتها. وما زال في حوزة الكونت!

٥- ضيفتان

- هل قال لك أي ساعة سيأتي الى الفندق؟
اجابت لوريل:
- كلا. قال بأنه سيمرّ خلال النهار.
- لكن ماذا اذا لم يأت؟ وماذا اذا فقدت خاتمي؟ أنت حقاً انسانة غريبة، يا لوريل. كيف نسيت ان تطلبي الخاتم منه؟
- لقد نسيت ذلك كلياً. ضعي حالك مكاني. تشاجرت معه... وبعد الذي حصل، لم أكن أنوي سوى العودة. لا تنسي بأنني اضطررت، في بادىء الأمر، ان أدافع عن نفسي ضد رينالدو.
- قولي بصراحة، يا لوريل، هل حاول فعلاً ان...
قاطعتها لوريل بجفاف قائلة:

- نعم، كان على وشك ان يفعل ذلك...
- اوه! مساء أمس، لم أكن أعرف اذا كنت تقولين الحقيقة كاملة أم تضحكين علي.
ألم تشجعيه على ذلك؟
- أبداً.
- الا تريدين ان تقولي شيئاً بهذا الخصوص؟
- لقد أخبرتك بكل ما حصل، لدى عودتي.
- ليس كل شيء...
- اذا كنت تريدين تفاصيل مؤنسة، لا تتكلي عليّ.
- آه! لست لطيفة. لكن، يا لها من مغامرة لا تصدق! الكونت يأتي لنجدتك في منتصف الليل، على ظهر حصان أسود، ثم يضعك فوق الفرس ويقودك الى قصره... آه، بعض الناس محظوظون!
- أستطيع ان أعيش من دون الذي حدث!
ادارت لوريل ظهرها وراحت ترتدي ملابسها. حول عينيها شحوب يدل على أنها لم تنم جيداً خلال الليل، بعد كل انفعالات ومفاجآت الأمس. في وضح النهار بدت كل هذه الحوادث كالحلم، أو كالكابوس وتريد لوريل ان تنساه. لكن ايفون تتمتع بحشرية ملحة فراحت تنهمر عليها بالاسئلة خلال فطور الصباح.
- اذن، سنتناول الغداء في القصر.
- لا اعرف.
- لكن ما دام قد دعانا...
- اتساءل اذا كان لائقاً ان نقبل دعوته؟
- ولم لا؟ حسب رأيي انا، هذه الدعوة رائعة. اخبريني كيف هو؟ ما عمره؟

- لم اسأله. لكن ربما يكون في الثلاثين.

- هل هو وسيم؟ وجذاب مثل رينالدو؟

- من الصعب القول...

انها ترى الكونت رجلا وسيماً. لكن ان تقارنه برينالدو هذا مستحيل. كمقارنة الهرّ البرّي بالنمر الملكي... وخشية ان يظهر التوتر الذي يختلجها، اسرعت في القول لانهاء الحديث:

- آه، سترينه بنفسك.

- لكن، يا لوريل، قلت لي بالأمس، بانك تشاجرت مع الكونت. ما سبب ذلك؟

لا تنوي لوريل ان تخبرها عن الظروف المذلة التي جعلتها تلتقي بصاحب «جزيرة المصير». فأجابتها قائلة:

- كنت أبالغ قليلا. مثلك، أعتقد الكونت بأنني شجعت رينالدو على ما فعله. فقلت له بانه مخطىء وبلهجة قاسية. لا شك انه غير معتاد على ذلك.

- هذا كل ما في الأمر؟

- الا يكفي؟ هل تشعرين بتحسن اليوم؟

- أنا؟ نعم. لماذا؟ هل أبدو مريضة؟

- لا، ابداً. بالعكس تبدين متألقة، وأحسدك على ذلك.

فوجئت ايفون وقالت:

- لكنك رائعة، يا لوريل، مبتهجة ومنتعشة وجميلة ايضاً.

- انت جميلة جداً، يا ايفون. ولا حاجة بك للحسد من اي انسان.

- صحيح؟

- انا أكيدة من ذلك. أما الآن فاريد ان أتمدد على الكرسيّ الهزاز

في الحديقة. وأنت ماذا ستفعلين؟

- لن أتركك. وأود من كل قلبي ان أرى الكونت حين يصل.

خرجت الفتاتان الى الحديقة وتمددتا تحت الشمس وشرعتا في القراءة. ولم يأت أحد. بعد الظهر بدأت ايفون تقلق على خاتمها. عجّ المكان بالنزلاء العجزة وازواجهم، فملّت ايفون من هذا الوضع وقالت:

- آه، لا أريد ان ابقى دقيقة واحدة مع هؤلاء العجزة المجانين! هذا فوق ما أستطيع تحمله.

- أين تذهبين؟

- الى الشاطىء.

وضعت ايفون نظارتيها وقبعتها وغادرت المكان بخطوات متمايلة. اطلقت لوريل زفرة عميقة وتساءلت: ماذا بامكانها ان تفعل؟ من المستحيل ان تراقب صديقتها من الصبح حتى المساء.

ربما كان الكونت على حق. في القصر ستتمكن لوريل من مراقبة ايفون اكثر. واذا برهنت كارلوتا عن لطفها وتعقلها، لربما اصبحت رفيقة ثمينة لايفون، التي ما زالت تجد صعوبة في اخفاء ضجرها. وكيف بالامكان لومها؟ الجزيرة لا تحتوي على وسائل اللهو لفتاة من جيلها. والآن تأمل لوريل الا تكون دعوة الكونت مجرّد لياقة سطحية كما تتمنى الا يطول تأخره.

وبانتظار ذلك، قررت كتابة بعض الرسائل. فنهضت من مكانها وتوجهت الى غرفتها لجلب قلم وورقة. في البهو التقت بالآنسة جيسون. هذه المخلوقة العجوز، القصيرة، الناعمة، الوحيدة، توقظ عند لوريل الشفقة. تحدثتا معاً ثم سألتها العجوز:

ـ انسى دائماً الاّ احد هنا في هذه الساعة من النهار، ساعة القيلولة. اريد شراء بعض البطاقات البريدية ولا اريد ازعاج السيدة آلين. هل تعتقدين انه بامكاني ان آخذ بضعة بطاقات الآن؟

ابتسمت لها لوريل بلطف ونعومة وقالت:

ـ ليس في ذلك اي مشكلة. وانا كذلك سآخذ بعضاً منها. عادة نضع المال في هذا الصحن، هناك.

فعلت الآنسة جيسون مثل لوريل، ثم تبعتها الى زاوية مظللة في الشرفة. وقالت:

ـ هل تركتك صديقتك؟

ـ آه... لوقت قصير. ذهبت الى الشاطىء.

ـ لا شك، انها لا تتسلى معنا. هذا امر طبيعي، لمن في سنها. الصغار يعتقدون دائماً باننا لم نمر بسن الشباب. بينما عندما افكر بذلك الوقت... في شبابنا، اقول، باننا لهونا كثيراً، صديقتي وانا. اتذكر ايما عندما وقعت بغرام شاب فرنسي التقت به في نيس مع احد اصدقائه، تبعانا لمدة اميال عديدة، في جادة الانكليز. في تلك الايام، لم يكن سهلاً التعرف على الجنس الآخر. ولو عرفت والدة ايما بذلك، لجنّ جنونها... آه، نعم كانت اجازة رائعة. التقيت بارك بعد مدة قليلة، وتواعدنا على الزواج...

تنهدت عميقاً وباسف واضافت:

ـ كان ذلك عام ١٩٤٠. ومن ثم اندلعت الحرب ومات مارك في جحيم دانكرك...

ـ آه! هذا مؤسف حقاً.

ـ نعم. بقيت حزينة عليه سنوات عديدة... لكن، يجب الاستمرار في الحياة...

فجأة توقفت الآنسة جيسون عن الكلام، قائلة:

ـ آه، المعذرة، يا عزيزتي الصغيرة. لا شك انك مللت من كلامي.

ـ لا، ابداً.

ـ لكنك تسامحين بسهولة. لن انطق بكلمة بعد الآن!

وانغمست العجوز الانكليزية في كتابة الرسائل وران الصمت مدة طويلة. وحوالى الرابعة بدأ النزلاء يهبطون الى الحديقة. والسيدة آلين تحضر السندويشات والحلوى لمن يريد، محافظة على التقليد البريطاني.

وفي تلك الاثناء وصلت ايفون وتمددت على المقعد. سألتها الآنسة جيسون:

ـ هل قضيت وقتاً ممتعاً على شاطىء البحر؟

ـ انت تمزحين، أليس كذلك؟

هزت العجوز كتفيها ونهضت لتتوجه نحو زاوية الشرفة حيث الشاي يقدم للجميع. وكالجراد أحاط النزلاء بطاولة الطعام، وراحوا يأكلون السندويش وقطع الحلوى الصغيرة.

فسألت ايفون:

ـ انظري. انهم يعيشون فقط في انتظار موعد الطعام. وفي الحقيقة لا يحبون شيئاً آخر! آه لهؤلاء التعساء!

ـ اخفضي صوتك. بامكان أحد ما ان يسمعك.

ـ واذا سمعني أحد؟ أليس ما أقوله صحيحاً؟

ـ في المستقبل، يا آنسة، أنصحك ان تبدي رأيك بطريقة سرّية.

هذا الصوت الجاف والمتعالي جعل الفتاتين تستديران معاً دفعة

واحدة وحين تعرفت لوريل الى النظرة الساحرة التي كانت تهددها منذ الأمس، رفعت يدها الى عنقها.

منذ متى والكونت هنا وراء مقعدها. كيف لم تسمعه يصل؟

قالت ايفون مذعورة:

- الا تخجل من التنصت على الحديث، يا سيد!

ابتسم وقال:

- المعذرة، يا آنسة. انت على حق. غلطتي اسوأ من غلطتك. اسمحي لي ان أقدم نفسي... رودريغو دي رينزيه، تحت خدمتك. وانت، يا آنسة، من تكونين؟

أعطته ايفون اسمها ونظرت اليه بعينين مسحورتين واضافت:

- المعذرة، يا سيّدي. لا شك أنك عرفت بانني لم اكن اريد ان اجرح شعور احد.

- أنا مقتنع كلياً بذلك، يا آنسة.

ثم التفت الى لوريل وسأل:

- هل بامكاني الجلوس معكما؟

- طبعاً.

جلس الجميع. لكن لوريل كانت ترتجف اضطراباً وتحسد ايفون على استرخائها وفرحها في الاستئثار بانتباه هذا الرجل الجذاب. بدا وكأنه عرف نداء العينين الجميلتين البراقتين، وبسرعة اخرج الخاتم من جيبه ونصحها ان تضعه في مكان أمين. فمدت له يدها النحيلة وقالت:

- أظن انه من الأفضل ان اضعه في اصبعي.

- هل تسمحين ان اساعدك؟

شكرته ايفون بحرارة، مضيفة بأن والدها مستعد لقتلها اذا

اضاعته. ولم تستطع لوريل من كبت ابتسامتها الساخرة: غوردن سيرل هو آخر من يفعل ذلك!

- لست أنا من يجب ان تشكري، بل صديقتك.

- آه، نعم. لقد فهمت، أنها تعرضت للمشاكل من أجل الحصول عليه.

- نعم، بالفعل.

نظر الكونت الى لوريل وقال:

- هل شفيت كلياً من انفعالات الأمس المؤلمة، يا لوريل؟

اضطربت لسماع اسمها على لسان الكونت، وهزّت رأسها قبل ان تسأل بخجل:

- ربما تريد بعض الشاي.

- شكراً. لقد طلبت من السيدة آلين ان تحضره لنا. كما حدثتها عن قضيتنا. لقد شاركتني الراي ولا يبقى لي الا الحصول على موافقتكما.

لمعت عينا ايفون فرحاً، اما لوريل فما زالت مترددة. هل من الصواب ان تدع الكونت يتدخل في شؤونها لكن... ما دامت السيدة آلين موافقة...

في تلك اللحظة، دخلت روزيتا تجرّ أمامها طاولة صغيرة وضعت عليها الآنية الفضية، وسط فناجين رائعة من الخزف. همست ايفون لدى رؤية نظرات الدهشة في عيون النزلاء قائلة:

- يا لهذه المراعاة!

وباسترخاء مبالغ، راح رودريغو دي رينزي يحتسي الشاي. فاعتبرته لوريل في تلك اللحظة بأنه يشبه الحرباء، يتكيّف مع كلّ الاوضاع بسهولة غريبة. وبدا على ايفون بأنها اتخذت بسحره

وجاذبيته.

وبعد ذهاب الكونت، انتشر الخبر كالصاعقة. الجميع فرحوا لدعوة الفتاتين الى منزل صاحب الجزيرة. ولما جاء السائق ليأخذهما الى فالديروزا، تجمع النزلاء كلهم على الشرفة ليودعوهما.

ولما توقفت السيارة الضخمة أمام مدخل القصر، شعرت لوريل بابتهاج غريب. راح قلبها ينبض بسرعة جنونية. وما ان هبطتا من السيارة حتى تقدم الكونت لاستقبالها. ثم قال:

ـ سنريكما غرفتيكما وسنتناول العشاء في الساعة التاسعة وسيكون بسيطاً جداً، لأن العمة كونستانس لم تأت بعد.

ولما اصبحتا في غرفتيهما، سألت ايفون بعدما دخلت الى غرفة لوريل الشاسعة:

ـ ماذا يعني بالعشاء البسيط هل نرتدي الجينز أو الملابس الانيقة؟

ـ أنا سأرتدي تنورة مخملية وقميصاً مطرزة.

ـ وأنا أرغب في ارتداء بزتي الجديدة، الحمراء والسوداء... الشفافة... على شرف الكونت! لا شك ان ذلك سيحدث تغييراً جذرياً في عادات الكونت، اذ كان هذا الاخير معتاداً على ذلك!

ولما رأت ايفون تعبير لوريل المذعور، راحت تضحك بصوت عال وتقول:

ـ لا تخافي! أنا امزح فقط... أليس هذا رائعاً ان يكون لكل واحدة منا غرفتها الخاصة تعالي وانظري الى غرفتي... شرفتي تطل على البحر. انه حلم!

كانت الغرفتان مفروشتين بالاثاث الفاخر والانيق. غرفة لوريل مغلفة جدرانها بالورق الوردي المقلّم بالفضي. الستائر وغطاء السرير كلها وردية. الاثاث الابيض المذهّب، منثور على البساط

السميك الرمادي. أما غرفة ايفون، فلونها ليلكي وأصفر.

قالت ايفون:

ـ لم أكن أتوقع سريراً بهذا الشكل وأثاثاً من السنديان الاسود ولوحات تمثل المغامرين الاسبان الذي غزوا أميركا! آه، لو كان أبي هنا، لاعجب بذلك.

اطلقت لوريل زفرة عميقة وجلست على السرير. فسألتها ايفون قلقة:

ـ ماذا بك؟

ـ آه، يا الهي! كيف نسيت؟

ـ نسيت ماذا؟

ـ المهمة التي أوكلني والدك بها!

ـ آه، لا تقولي بأنك لم تصرّحي للكونت عن سبب اقامتنا في هذه الجزيرة...

ـ لا! خلال اليومين الفائتين حدثت امور كثيرة، جعلتني انسى كلياً هذه المسألة.

ماذا سأفعل الآن، يا الهي كيف سأبوح للكونت بأنني جئت بهدف استكشاف المكان؟

ـ لكن ذلك ليس ضرورياً!

ـ بل وهذا من واجبي. ليس لدي الخيار.

قالت ايفون بحماس:

ـ أنا لست من رأيك. فكري بالأمر ملياً. انها فرصة رائعة لنا، ما دمنا في القصر. فسيقول لنا الكونت كل شيء ويدلنا على كل شيء. وهكذا نربح الوقت.

ـ كلا، لا أريد ذلك. هذا غش وتضليل.

- آه، لا تبالغي. انت ما تزالين في المرحلة الاولى من الاستكشاف وبامكانك ان تتوقفي عند هذا الحدّ. والكونت لن يعرف بالأمر.

نهضت لوريل وقالت:

- لا يمكنني ان اقنعه بأنني هنا سائحة وحسب. سأقول له الحقيقة في أسرع وقت. آه، لا اجرؤ على التفكير بردة فعله تجاه ما سأبوح له.

- آه، ارجوك، نحن محظوظتان لوجودنا في هذا القصر الجميل، كأنه حلم لا يصدق. وأخشى التفكير في توضيب حقائبنا من جديد والرحيل!

ران صمت طويل. بعده اقتربت ايفون من لوريل، المتكئة على النافذة:

- لوريل...
- نعم.
- هل يهمك رأي انسان غريب، الى هذه الدرجة؟
- كلا، طبعاً. لكنني ممزقة، هل تفهمين؟ لا اقدر ان اخدع رجلا يقدم لي ضيافته.

احتجت ايفون وقالت:

- اسمعي، يا لوريل، لا تقلقي. لم يدعونا الكونت الى هنا الاّ بهدف واحد، وهو ان نسلي ابنة عمته المدللة. وها نحن الآن في مستوى الانصاف، أليس كذلك.
- هذا المنطق ليس مقنعاً.
- ربما. لكن ماذا سيقول أبي، اذا رآنا عائدتين...

حدقت لوريل بصديقتها بنظرة حاذقة وفهمت ما تعنيه. أضافت ايفون بتوتر:

- ومتى أصبح رودريغو دي رينزي على علم بمهمتك، سيرمينا خارج القصر... وخارج الفندق أيضاً. ولن يعود لنا سوى الرحيل، وسيتساءل أبي عن سبب عودتنا الباكرة. فسأضطر ان أبوح له بكل شيء وسيقول ان ذلك حصل بسببي أنا.
- لكن لا. كيف يمكننا ان نفكر مسبقاً بأن الأمور تحولت الى مأساة؟

اغرورقت عينا ايفون بالدموع السخية وناحت تقول:

- بلى، انها غلطتي. لولاي ما حصل شيء من كل هذا. وسيعرف والدي ذلك. من دون ان نضطر الى اخباره. لقد سببت له حتى الآن المشاكل العديدة... ولا... ولا أنوي ان... أنزل للعشاء.
- لا، يجب ان تنزلي الى العشاء، فقط من أجل اللياقة.
- هل... هل ستقولين له عن هدف مجيئنا الى هذه الجزيرة؟
- لا أعرف. سأفكر بالأمر.
- في حال أردت ان تقولي له الحقيقة، أرجو ان تفعلي ذلك في غيابي. ان والدي هو الذي يريد تطور السياحة في هذه الجزيرة. وأنت لا تفعلين سوى تنفيذ أوامره.

وعدتها لوريل بذلك. لكنها شعرت بثقل على قلبها وهي تدخل بعد قليل الصالون الواسع حيث كان ينتظرهما الكونت. هذه الخدعة تناقض والقيم التي تتحلى بها لوريل. لكن، اذا كانت صريحة، وباحت بالحقيقة فسيكون لذلك عواقب جمة على مشاريع مديرها، وبالتالي على صحة زوجته. لو تصرّف الكونت بطريقة متعالية ومقيتة، كما فعل في الأمس، لكانت الأمور أسهل بنظر لوريل. لكن للأسف، اظهر هذا المساء لطفاً كبيراً موضحاً جاذبيته تجاه ضيوفه.

كانت غرفة الطعام واسعة وأثاثها قديم العهد. الاضواء الآتية

من الثريات العالية تتمايل على الآنية الفضية الفاخرة. خادم صامت يقدم الطعام الشهي: شمام مثلج وسلطة فاكهة البحر وأرنب مطبوخ مع الخضار الناعمة والأرز...

تهيأ للوريل بأنها تعيش القصص الخرافية. وبدا رودريغو دي رينزي انيقاً اكثر من العادة في بزته السموكينغ وقميصه البيضاء المكسرة. الضوء الخافت خلق جواً خرافياً.

وخلال الحديث قال:

ـ أوكلتني جدتي ان أتمنى لكما اقامة سعيدة بيننا. فهي ستفرح ارؤ يتكما غداً. صحتها مرهقة ولا تخرج من شقتها الا نادراً وخادمتها تدللها كولد صغير.

تساءلت اوريل اذا كان احد آخر من أفراد عائلته يعيش في القصر، لكنها لم تجرؤ على سؤاله.

كان الليل جميلاً ومنعشاً. خرجوا الى الشرفة بعد العشاء. رودريغو دي رينزي يدير الحديث باسترخاء وراحة. وايفون تشاركه بحماس. أما لوريل فكانت متوترة، شاردة في تأملها البحر وضوء القمر. كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل عندما قال الكونت فجأة:

ـ آه، المعذرة. اخشى ان أكون قد اتعبتكما. لا شك أنكما ترغبان في فك حقائبكما والذهاب الى النوم.

اوصلهما الى أسفل السلم وانحنى امامهما محيياً. صعدت لوريل وراء ايفون، عندما توقفت فجأة لدى سماعها صوتاً آمراً:

ـ آه، لقد نسيت، يا آنسة دانواي... هل بامكاني ان أحدثك لحظة...

انتظرها الكونت كي تهبط. قلبها ينبض بسرعة. ادخلها الى

تمنت له ليلة هنيئة وخرجت من الغرفة متمايلة. قلبها ينبض بسرعة مجنونة داخل صدرها. ماذا تعني هذه البهجة الغريبة التي تحتلها؟

٦ ـ قيثارة ونجوم

ـ آه، ما اجمل الحياة!

هذا ما قالته ايفون وهي تتأمل اظافرها الجميلة المطلية باللون الوردي ثم سألت لوريل:

ـ ما رأيك بأصابع يدي؟

ابتسمت لوريل وقالت:

ـ اصبحت فتاة مترفة! اذن، هل انت مسرورة بدروس الفروسية؟

ـ نعم، جداً. وأنت، اخبريني عن الجلسات الشعرية التي تقضينها مع الدونا لويزا.

ـ يا لها من عجوز رائعة! للأسف ان تكون محجوزة في غرفتها

بسبب الأمراض العصبية.

ـ الظاهر انها تلاطفك وتحبك...

ـ آه، احياناً تمر بوحدة قاسية. لكن العمر لم يضعف مقدرتها العقلية.

ـ سأطلب غالياً اذا طلب مني قضاء معظم نهاري في قراءة الشعر او مناقشة كتاب، خاصة مع الذين عاشوا في القرن الماضي. من جهتي، افضل الشاطىء. الى اللقاء.

وضعت ايفون مئزر السباحة على كتفيها وخرجت من الغرفة مسرعة. تبعتها لوريل بنظرها وتمنت لو تكون مكانها.

انهما الآن في القصر منذ ثلاثة ايام. وايفون في اوج النشوة لأنها تحب الخيل. اختار لها رودريغو حصاناً صغيراً واخذ يرافقها كل صباح على ظهر حصانه الأسود الذي يدعى سيزار. وبرفقته وجدت دليلها المثالي، كانت ايفون تكتشف محاسن الجزيرة بفرح كبير. في نهاية هذه النزهة يلتقي الجميع لاحتساء القهوة في شقة دونا لويزا. وبعد الظهر تذهب الفتاتان الى البحر للسباحة وللتشمس، او تتنزهان في الحدائق العطرة التابعة للقصر.

اظهر الكونت عن حسن ضيافة. واعجبت ايفون بالمغازلة السرية التي كان يظهرها الكونت تجاهها. اما لوريل فكانت تتصرف بتحفظ تام. ضميرها لم يجعلها تسترح لحظة واحدة.

وبتنهد عميق، خرجت من غرفتها، وتوجهت الى شقة جدة رودريغو. الخادمة ماريا، وصيفة دونا لويزا، فتحت لها الباب.

كانت العجوز جالسة في مقعد مريح، قرب الباب الزجاجي المفتوح على الشرفة. عصاها الفضية موضوعة على كرسي قربها. وعلى الطاولة تلة كتب مجلدة. ولما رأت العجوز ضيفتها تدخل تلألأت

عيناها السوداوين. انها في الثمانين من عمرها. وبالرغم من داء العصبي الذي شوه مفاصلها، ما زالت مستقيمة كالعصا. ووراء تجاعيد وجهها آثار لملامح جمال جذاب. ابتسمت وقالت:

ـ اهلاً وسهلاً بك، يا لوريل. اجلسي قربي. والآن، يا ماريا، بامكانك تركنا.

جلست لوريل على مقعد مريح مصنوع من القش. النسيم العليل يجلب معه مئات العطور من الحديقة وطنين النحل الباحثة عن اريج الزهور. ووراء قنطرة من العريش سبيل رخامي، تهدر مياهه ببطء.

سألت دونا لويزا:

ـ هل تعجبك حديقتي؟

ابتسمت لوريل وأجابت:

ـ انها حقاً رائعة.

ـ صممها حفيدي من جديد، منذ سنتين، حتى يصير بامكاني التنزه فيها بالرغم من عجزي. سأريك زاويتي المفضلة. هل باستطاعتك ان تتأبطي ذراعي، من فضلك؟

ـ بكل سرور، يا سيدتي.

نهضت لوريل وقدمت لها العصا. وبصعوبة نهضت العجوز واجتازت الشرفة ببطء ثم اخذت الممر الواسع المتعرج وسط العشب والزهر... دونا لويزا تعرف كل زهرة باسمها. فقالت:

ـ اختار رودريغو افضل الزهور التي احبها. انه حفيد طيب. وأنت، يا ابنتي، الا تجدينه كذلك؟

قالت لوريل بتهذيب:

ـ طبعاً.

فجأة اصغت السمع، عندما فوجئت بزغردة العصافير المتناغمة.

ولما رأت دونا لويزا الدهشة على وجه الفتاة، ابتسمت ثم قالت:

ـ جوزيه يطعم الآن عصافيري. ستريها بعد قليل.

ينتهي الممر امام باب مركب داخل جدار مرتفع ومغطى بالورود الليلكية والزهرية. فتحت لوريل الباب، ودعت العجوز الى الدخول قبلها، ثم لحقتها، ووجدت نفسها في حديقة اخرى واسعة ومستديرة تحيط بها الشجيرات العديدة والأشجار المزهرة. وسطها اقفاص كبيرة، مخصصة لتربية الطيور، وداخلها عشرات العصافير الملونة تطير في كل الاتجاهات. داخل قفص جوزيه يرمي للعصافير الحبوب والعصافير تحط على رأسه وعلى كتفيه.

لوريل لا تحب ان ترى العصافير داخل القفص. في بعض البلدان عادة بربرية لجعل العصافير عمياناً، لا يرون، بغية ان يغردوا افضل. لذلك اسرعت وراء السياج للتأكد من ان العصافير امامها لم تخضع لهذه التربية البربرية.

فقالت لها الكونتيسة وكأنها عرفت مخاوفها:

ـ لا تقلقي، يا ابنتي الصغيرة. عصافيري يعتنى بها جيداً. انظري... فعلنا كل ما في وسعنا لنخلق لها اطاراً طبيعياً. لديها المسافة اللازمة لتطير وتتناسل. واؤكد لك بأنها تعيش هنا وقتاً اطول من عمرها في الغابة.

اطمأنت لوريل واسترخت. راحت الكونتيسة تمشي بصعوبة وتقول:

ـ والآن، اذا اردت، سنجلس لحظة، هنا في الظل لئلا يتأثر لون بشرتك الانكليزية!

امضتا وقتاً ممتعاً تحت العرائش تثرثران في مختلف المواضيع. وبسرعة عادت العجوز من جديد تتحدث عن حفيدها الذي تحبه كثيراً. بعد وفاة والديه بحادث طائرة، تكفلت هي بتربيته. كان حينذاك في السادسة عشرة من عمره، وهي ارملة منذ وقت قصير.

همست لوريل ببعض الكلمات اللطيفة، فرفعت العجوز كتفيها وتابعت تقول:

ـ القدر كان قاسياً علي. . . فقدت زوجي وابني الوحيد في وقت قصير جداً. . . لكن المسؤولية الكبرى وقعت على ظهر رودريغو الذي لم ينته من دراسته، انما وجد نفسه بين ليلة وضحاها، على رأس املاك واسعة مثل فالديروزا.

دونا لويزا انجبت ثلاث بنات. الكبيرتان متزوجتان والصغيرة، كونستانس، قررت ان تعيش في فالديروزا.

ـ لقد عارضنا جميعاً زواجها مع رجل لم يكن يناسب العائلة، ومن ثم، رفضت كل الذين تقدموا بطلب يدها. هل تندم الآن لأنها تمتعت بالاستقلال؟ اي شيخوخة تنتظرها في هذا القصر الذي ستحكمه قريباً سيدة اخرى؟ ذلك لأنه من الضروري ان يتزوج رودريغو، في النهاية.

يا لكونستانس المسكينة! انها ضحية التقاليد الاسبانية البالية التي تقرر مستقبل بناتها من دون اي اعتبار للعواطف. واحتراماً للمرأة العجوز، فضلت لوريل الصمت. هل سبق واختارت لرودريغو زوجة؟ من تشبه؟ هل تتمتع بجمال اسمر وشعر لماع وعينين مخمليتين وطباع نارية؟ كادت ان تسأل العجوز عندما اضافت هذه الأخيرة قائلة:

ـ للأسف، كارلوتا تشبه عمتها كونستانس واسوأ ايضاً! منذ طفولتها وهي تعاكس النظام وجميع النصائح. هل اخبرك رودريغو عن مغامرتها الأخيرة؟ انها حقاً فتاة وقحة.

اطلقت زفرة عميقة وتابعت تقول:

ـ في مرحلة معينة من عمرها، وجدها اهلها المرأة المثالية لرودريغو، بالرغم من ان الزواج بين ابناء العمات والعموم لا ينصح به. في كل حال من المستحيل معرفة ما يفكر رودريغو به في هذا الخصوص. انه يجعلني اتساءل احياناً اذا كان امرأ عاقلاً عندما ارسلناه الى انكلترا لانهاء دروسه. عاد الى هنا حاملاً افكاراً واسعة ومتقدمة بالنسبة لذوقنا. . . غداً، ستجابه مع كارلوتا. ورودريغو محظوظ للابتعاد عن ابنة عمته ومزاجها السيء.

سألتها لوريل بابتسام:

ـ انها ما تزال صبية، اليس كذلك؟

ـ نعم. ولا احد بامكانه ان يفرض عليها الطاعة! سترين ذلك بعينيك.

ـ اعتقد بأنها ستكون بحاجة الى صداقتي.

ـ لا تدافعي عنها. في كل حال ارى بأن حفيدي مخطىء لتحمل مسؤوليتها. انه يضحي كثيراً لعائلته ولفالديروزا.

ـ لكنه ورث القصر عن والده.

ـ نعم. لكن هذا القصر الشاسع يتطلب مهمة ثقيلة. الجزيرة تعيش في اقتصاد مغلق وأموالنا حلالنا. لا يوجد بلد مثلنا باستطاعته ان يفتخر حالياً بهذا الأنجاز الباهر. لكن لا تتصوري ان ذلك نتيجة معجزة وحسب. الشباب اليوم يرغبون في الحضارة، وبامكانهم الاستسلام لمجتمع استهلاكي بسهولة. اذا كان التوسع مرغوباً به في

بعض البلدان، اخشى ان يكون هنا كالكارثة.

بعد دقائق صمت، قالت العجوز فجأة:

ـ لكنني أتكلم كثيراً، يا صديقتي الصغيرة. انا خجولة من هذه الثرثرة هيا نرجع الآن.

ولما وصلتا الى الشرفة حيث كانت ماريا تنتظر معلمتها، ظهرت ايفون بثياب الفروسية، فرحة من رحلتها الصباحية. لكن لم يكن لرودريغو اي اثر.

قضت الفتاتان بقية النهار في استكشاف القصر الرائع الذي يحتوي باستمرار على مواقع خلابة. وفي أواخر بعد الظهر، ذهبتا الى المرفأ لشراء البطاقات البريدية والطوابع. ولما عادتا الى القصر كانت الشمس قد غابت وحلّ الظلام.

وكالعادة كان العشاء لذيذ الطعم وصاحب القصر ألطف من العادة. دونا لويزا تشاركهم مائدة الطعام ولوريل لا تتوقف عن التفكير بما قالته لها العجوز في الصباح.

وبدأت تفهم، الآن، طباع رودريغو المتعجرف، ذلك لأنه تحمل باكراً المسؤوليات الضخمة. من دون سلطته وطاقته الكبيرة، لربما عرفت الجزيرة البؤس، ولربما بيعت فالديروزا بالمزاد العلني. وبدلا من هذا كله، «جزيرة المصير» تعيش سعادة هادئة. فوق المرفأ الصغير وسط الحدائق الرائعة المزهرة، نرى المدرسة الحديثة والمستشفى، وخلف كل هذا نرى يد صاحب الجزيرة. من غيره باستطاعته ان ينظم ويقرر وينسق؟

هذا ما فكرت لوريل به بينما كانت تحتسي القهوة.. فجأة شعرت بصمت غير اعتيادي، فرفعت رأسها، في هذا الوقت بالذات نهض رودريغو وقال:

ـ المعذرة، انا مضطر لترككن. لدي رسائل ملحة عليّ ان انتهي منها هذا المساء. جوزيه تحت تصرفكن عند الحاجة.

ولما اختفى الكونت، بدت الغرفة باردة وفارغة. فصرخت الكونتيسة بخيبة أمل:

ـ هل رأيتها؟ انه لا يستطيع التوقف عن العمل لحظة واحدة! الواجب دائماً الواجب! أتوسل اليه ان يتزوج وان ينجب الأولاد والوقت يمر، واذا استمر على هذا المنوال، سيصبح كبيراً في السن. من سيرث بعده؟ وماذا سيحل بجزيرتنا؟ لكنه يرفض الاصغاء الي.

ابتسمت لوريل بلطف وقالت:

ـ آه، يا سيدتي، حفيدك ما زال شاباً.

ـ لكن الوقت يمر بسرعة. وذات يوم، نصحو ونرى بأن الشباب قد ولى وقد ابيضّ شعرنا ونحزن.

ولما رأت لوريل عيني العجوز تغرورقان راحت تبحث عن شيء مريح للقول. لكن ايفون سبقتها وقالت:

ـ لكن، يا سيدتي، لا يجب ان تنظري الى الأمور هكذا. المهم، كي لا نشيخ، ان نبقى شباباً في قلوبنا.

فوجئت دونا لويزا بهذا اللطف غير المنتظر، وأجابت مبتسمة:

ـ انت على حق، يا صغيرتي. لكن عليّ اقناع جسمي الهرم. هيا، لنحاول ايجاد موضوع آخر، مسلّ ومفرح! وقبل ذلك، يجب ان نطلب من جوزيه ان يجلب لنا العصير.

جسم العجوز متعب، لكن عقلها ما زال فتياً وذاكرتها لا تخطىء. ولمدة ساعة بكاملها، راحت تقص على الفتاتين عهد شبابها وزواجها وحياتها في الجزيرة. فجأة قالت باستغراب:

ـ لكنني امرأة ثرثارة جداً، كجميع النساء الاسبانيات.

وبعدما اوصلت الفتاتان العجوز الى شقتها وسلمتاها الى الخادمة ماريا، عادتا الى الصالون. فقالت لوريل:

- سأقوم بنزهة قصيرة في الحديقة. هل تأتين معي؟

- كلا. عليّ ان أغسل شعري. فلم يتسنّ لي الوقت الكافي قبل العشاء. اصرّ على الظهور بمنظر حسن لدى وصول كارلوتا.

- كوني صريحة يا ايفون، ليس من أجلها فقط ترغبين ذلك...

- في كل حال، انه مسافر غداً، أليس كذلك؟

ثم خرجت ايفون من الغرفة.

توجهت لوريل الى الحديقة، حالمة واجتازت الساحة الكبرى المضاءة بالمصابيح الحديدية التي تبث نوراً خافتاً، ثم فتحت الباب الحديدي الذي يؤدي الى المشتل. الهواء كان فاتراً وعطراً. وسط الشجيرات والنباتات العطرة، وجدت ممراً يصل الى شرفة صغيرة تطل على المحيط. استندت لوريل على الحائط المغطى بالنباتات المتسلقة، وراحت تتأمل مطولا الخليج الشفاف تحت ضوء القمر. اضاعت تمييز الوقت، وانسحرت بجمال المنظر الخلاب وتخدرت في خليط العطور الحلوة والمالحة ولم تعد تستطيع ان تنتشل حالها من هذه النشوة.

فجأة، في هذا الليل الصامت، سمعت موسيقى قيثارة قريبة منها. تقلصت لاشعورياً وقررت العودة. شيء ما تحرك في ظل الشرفة، فانتفضت.

- هل اخفتك؟

القيثارة سكتت وميّزت لوريل اللون الابيض لقميص رجل. واقفلت يد على معصمها. ووجدت نفسها قرب رودريغو، تحت عريشة صغيرة.

- هل انت مستعجلة للعودة الى الداخل؟

- كلا... لكن، لم اسمعك قبل ان تبدأ بالعزف انا آسفة لازعاجك.

ابعد يده عنها ووضع القيثارة على المقعد الحديدي بجانبه، ثم قال:

- لكنك لا تزعجينني ابداً، بالعكس. هيا، اجلسي هنا.

جلست لوريل بانزعاج وقالت:

- لم... لم أتوقع ان أجدك هنا... في هذه الساعة...

- ولم لا؟ ألا يحق لي، انا ايضا، ان استرخي قليلا؟ وجدت بأن الموسيقى هي الوسيلة الفضلى للبرهان عن وجودي من دون ان اخيفك. هل كنت مخطئاً؟

لم ترد عليه مباشرة، بل قالت:

- اكمل، يا رودريغو. ساصغي الى عزفك قليلا، لو سمحت

- بكل سرور، يا عزيزتي.

تناول القيثارة وراح يعزف عليها. اصغت اليه لوريل بفرح كبير. عزفه يتحدث عن الحياة والحب والشغف. ولما تبخّرت الموسيقى في الصمت، أصدرت لوريل زفرة عميقة وقالت:

- يا لهذا العزف الجميل!

- هل فاجأتك؟

- نعم.

- لكن موهبة الموسيقى والرقص تولد معنا هنا!

- اعرف. ولم أكن أتصور بان الوقت يسمح لك باتقان هذه الموهبة وممارستها.

- آه، الظاهر ان جدتي اخبرتك الكثير عني!

فجأة رفعت لوريل رأسها واشتبكت نظراتها بالعينين السوداوين البراقتين، وبدأت تقول بتردد:

- كنت أتساءل...

- ماذا؟

- منذ قليل، قلت بأنك مشغول وعليك كتابة الرسائل. الا يمكنني مساعدتك خلال مدة اقامتي؟ أنا سكرتيرة وفكرت انه بامكاني ان أطبع لك الرسائل او الفواتير، على الآلة الكاتبة. سأتمكن من شكرك على ضيافتك بهذه الطريقة المتواضعة.

لم يرد عليها فوراً. وبدأت لوريل تندم على انفعالها المباشر. اخيراً سألها بابتسامة غريبة:

- ألهذا السبب كنت مهمومة منذ قليل؟

عرفت بأنه يسخر منها، فعضت على شفتيها وقالت بتلعثم:

- ... ربما...

- أنا متأثر بذلك كثيراً.

- المهم الا تكون غاضباً.

- ولماذا أغضب؟

- الظاهر، وللأسف، بأنني املك موهبة اغضابك، حتى عندما لا اكون ارغب في ذلك.

حكّ ذقنه بأصابعه الطويلة النحيلة وسألها:

- هل يعني كلامك هذا بأنك تخافين مني؟

- كلا. لكنني أعارض طريقتك في ممارسة العقاب!

- هه، هه! لكن المذنب عادة لا رأي له في العقاب...

- هل من عادتك، اذن فرض العناق العنيف؟

- لكن، يا عزيزتي، لم أجد، حتى الآن، افضل من هذا العقاب

- لندخل قبل ان نفقد وعينا.

عادا الى القصر صامتين. يمسكها رودريغو بذراعها لئلا تتعثر. وفي اسفل السلالم، رفعت لوريل نظرها اليه ولم تر شيئاً في تعبير وجهه الجامد. أبعدت رأسها بسرعة كي لا تقرأ الحقيقة. فقال لها:

- مساء الخير، يا لوريل.

همست هاربة:

- مساء الخير.

٧- وصول الشيطانة

وفي اليوم التالي استيقظت لوريل في حالة من النشوة العالية. هل حلمت بلحظة الأمس العاطفية؟ كلا . . . مجرد تذكر تلك اللحظات الرائعة، يشعرها بالقشعريرة. ارتدت ملابسها ونظرت الى نفسها في المرآة بحيرة وارتباك متأكدة بأن كل خلية فيها تهتف للحب. لكن لا شيء يبدو على وجهها المالس، ما عدا ابتسامة صغيرة في زوايا شفتيها المرتجفتين، ونظرة مندهشة.

لم تعجبها هذه الصورة في المرآة، فراحت تخلع بسرعة الثوب القطني الأزرق الذي ارتدته. فتحت خزانتها وراحت تبحث في داخلها عن شيء اجمل تلبسه. فقررت اخيراً اخراج قميص فلاحية مطرزة لم يسبق ان ارتدتها من قبل، وتنورة حمراء واسعة مكشكشة.

القماش يتمايل حول خصرها النحيل والقميص الناعمة أبرزت أنوثتها. في هذه البزة بدت أنيقة. سرّحت شعرها وتركته ينسدل على كتفيها شلالا ذهبياً. تعطرت وتحمّرت ثم خرجت من غرفتها، والتقت بايفون على السلالم، وكادت ان تضمها بين ذراعيها، من شدة الحماس. لكن سألتها:

- هل نمت جيداً؟

لكن مزاج ايفون لم يكن مبتهجاً، فرفعت كتفيها وتمتمت:

- نعم. . . كالعادة. انت فرحة، مرحة، هذا الصباح.

- ولماذا لا أكون فرحة، مرحة؟

- لكنك غريبة على غير عادتك!

احمرّت لوريل بقوة، وتساءلت اذا كانت ايفون قد رأت ما حصل بالأمس مساء.

- يا الهي، قولي ما الذي لا يعجبك في منظري.

تسمرت ايفون مكانها من شدة الضحك وقالت:

- لا شيء. انت رائعة حتى الكمال، وكالعادة. لكن هذه اول مرة ارى شعرك منسدلا على كتفيك. وهذا القميص. . . رائع!

- شكراً.

- وكل هذا على شرف من؟

- لا تكوني حمقاء، يا ايفون.

- حسناً. انها قضيتك ولا أريد التدخل فيها. لكن، هل باستطاعتي استعارة قميصك ذات يوم؟

- طبعاً.

هبطت ايفون السلالم وهي تردندح لحن اغنية. فجأة توقفت وسألت لوريل:

ـ أين كنت مساء امس؟ أردت ان استعير منك شامبو الشعر ولم استطع العثور عليك. وتساءلت ما يمكن ان يكون قد حل بك.

ـ وماذا يمكن ان يحل بلوريل؟

هذه الكلمات صدرت عن رودريغو الواقف على عتبة باب الصالون. فأجابته ايفون ضاحكة:

ـ من يدري ربما خطفها شبح الجزيرة!

توقفت لوريل على الدرجة الأخيرة من السلم وتسمرت مكانها امام نظرات رودريغو الذي كان يفصّلها من رأسها حتى اخمص قدميها، لكن من دون حرارة. منذ متى هو هنا؟ ماذا سمع من ثرثرة ايفون الطائشة؟

قال بحركة انيقة:

ـ تعالي، الفطور جاهز.

ألم تشعر في نبرة صوته بعض الملل كأنها تلقت دوشاً بارداً! نشوة الأمس لم تكن الا حلماً عابراً اختفى بسرعة. وعاد رودريغو، الرجل المتعجرف، المتكبر ذا المزاجات غير المتوقعة.

بعد الفطور اعتذر الكونت أمام ضيفتيه لشدة انشغاله، أما دونا لويزا فلم تخرج من شقتها لشدة ألمها من داء المفاصل. والخدم منشغلون، يركضون في جميع الجهات تحضيراً لوصول كارلوتا.

ولما توجهت الفتاتان الى الشاطىء، قالت ايفون:

ـ يا لهذه الحركة الدائمة داخل القصر! آمل ألا تكون كارلوتا فتاة صعبة ومتسلطة. من الأفضل ان تفكر ملياً قبل ان تعطيني الأوامر.

ذكرتها لوريل بنبرة هادئة:

ـ لا تنسي بأننا هنا بسببها.

ـ أنت هنا بسببها. أما أنا، فلا دخل لي بذلك. أنت من سيهتم

بها ويراقبها خلال غياب صاحب القصر.

لم تنس لوريل مهمتها الجديدة. ومع مرور الوقت واقتراب موعد وصول الباخرة، شعرت من جديد بالقلق يحتلها. ماذا سيحدث اذا كانت كارلوتا فعلا عنيدة والجميع يتحاشونها، لكن، هل رودريغو على حق عندما أكد لها بأن ابنة عمته ستتصرف تصرفاً حسناً كسيدة منزل في غيابه وماذا اذا قررت كارلوتا ان تعود في أول باخرة، حين يبتعد رودريغو عن الجزيرة كيف بامكان لوريل ان تمنعها من ذلك؟

بعد الخامسة بقليل، رأت لوريل من نافذة غرفتها صاحب القصر يتوجه، بلا شك الى المرفأ. في مشيته نبرة عاتبة أكيدة، كأنه مستعد لمجابهة أي شيء.

دخلت ايفون الى غرفة لوريل وراحت تبحث في مساحيق الزينة وتقول:

ـ هل بامكاني ان استعير ازرق العيون، يا لوري، حنجري تعطل.

ـ طبعاً.

تقدمت ايفون من النافذة في الوقت الذي أقلعت فيه سيارة الكونت. فقالت، بعد عبسة متأسفة:

ـ آه، أما كان بامكانه ان يأخذنا معه!

ـ لسنا من أفراد عائلته.

قالت ايفون وهي تبتعد عن النافذة: ـ

ـ نعم، لكن نحن هنا بسبب ابنة عمته.

ولما رأت ايفون ثوباً ابيض ممدداً على السرير، سألت:

ـ هل ستغيرين ملابسك بهذه السرعة؟

ـ نعم. اشعر بثيابي مبللة بالعرق وملتصقة على جسمي، بعد هذا

النهار الذي قضيناه على البحر. سآخذ الآن دوشاً ساخناً.

- اذا كنت تريدين ارتداء ملابسك، الآن، في هذه الساعة، انت حرة. اما انا، فسأخرج.

- لا تتأخري.

- نعم. نعم. سأحاول.

صفقت الباب وعضت لوريل على شفتيها. تعرف عدم جدوى نصائحها تجاه هذه الفتاة المستقلة. يبقى ان تأمل بأن تعود ايفون في الوقت المحدد ولو تهذيباً.

كان البهو الواسع فارغاً. اشعة الشمس تظهر لمعان الخشب الأشقر، والأرض الخشبية البراقة وتبث هالة ذهبية على باقات الزهر الملونة الموضوعة في كل مكان.

قامت لوريل بخطوات قليلة في الساحة. ثم ألقت نظرة الى الحديقة. لا أثر لايفون. دخلت وتوجهت الى المكتبة وأخذت كتاباً وبدأت تقرأ فيه. لكنها لم تستطع التركيز كلياً. بين عينيها والكتاب تظهر الصورة نفسها. بعد قليل أغلقت الكتاب. من المستحيل ازالة ذكريات الأمس من مخيلتها. رودريغو عانقها تحت ضوء القمر. وماذا بعد؟ لماذا تعلق على هذه القصة أهمية كبرى صحيح ان دقائق النشوة أيقظت عند لوريل احساساً لم تشعر به من قبل.

لكن اذا كان هذا الاحساس نتيجة انجذاب لا أكثر، هل يعني انها تحبه ... وأول احساس تجاهه ألم يكن نابعاً من عدائية قوية كيف بامكانها ان تنسى هذا اللقاء الأول...

لم تعد قادرة على البقاء مكانها، نهضت وراحت تزرع الغرفة ذهاباً اياباً، بخطوات حازمة وتقول لنفسها بضرورة التعقل وعدم الاستسلام للأحلام العاطفية العابرة. لا جدوى من بناء قصور على

الرمال. ألم يسبق ان اعتقدت مرة بأنها مغرمة واليوم عندما تفكر بفيليب، فلا يخفق قلبها بسرعة. ماذا اذن والوضع الآن أليس هو نفسه؟

شعرت لوريل بقشعريرة تجتازها لمجرد تفكيرها بسلطة رودريغو عليها. وصلت الى جزيرة المصير وقلبها فارغ اصبح هذا القلب مليئاً بالحب. ولم يعد ملكها...

وبعد هذا التفكير العميق، وجدت نفسها بحالة يرثى لها وفضلت العودة الى غرفتها. وما ان صعدت السلالم حتى سمعت أصواتاً وخطوات مسرعة. أدارت رأسها ورأت رودريغو على عتبة باب المدخل. ووسط البهو تقف فتاة تحدق بها بعينين براقتين.

انها كارلوتا... قصيرة القامة ونحيلة، ذات وجه طويل وبشرة جافة وشعر اسود. كانت ترتدي بزة معروفة لدى جيل الشباب: سروال جينز باهت اللون، وسترة مبطنة فوق قميص مقلمة.

قال الكونت بصوت بارد:

- هل بامكانك ان تتركينا وحدنا لحظة، يا لوريل؟

شعرت بارتباك وأجابت:

- طبعاً.

لكن قبل ان تتقدم خطوة، كانت كارلوتا قد أصبحت قربها. نظرت الى رودريغو بتحدٍّ وقالت:

- لماذا تريد يا رودريغو من هذه الفتاة ان تبتعد عنا. ليست خادمة، على ما أظن.

- كارلوتا، أرجوك، دعي التمثيل جانباً، من فضلك!

- آه، انت خجول مني، وخجول من بزتي! وتسجنني في هذا القصر من أجل مقاصصتي! ثم تفرض عليّ هذه الفتاة الانكليزية بينما

تذهب وتلهو بعيداً. دعني على الأقل، انظر بتفصيل الى حارستي الشريرة. اصر على رؤيتها بأسرع ما يمكن!

وبسرعة نظرت كارلوتا نحو لوريل وحدقت اليها بوقاحة. تقلصت لوريل أمام هذه الشتيمة. وأوشكت على التدخل، لكن الكونت اقترب منها. وقبل ان يفتح فمه، كانت لوريل قد استعادت رشدها وقالت:

ـ لست خادمة ولست حارسة شريرة، يا آنسة. والآن اتركك آملة ان يصحح ابن خالك الأمور، ولا يقدمك الي خطأ.

ألقت الى رودريغو بنظرة غاضبة واجتازت البهو قبل ان تخرج من باب الحديقة. ولما وصلت الى الشرفة كانت ترتجف غضباً. تقدمت من سبيل الماء ومدت يدها تحت المياه الناعمة المنعشة. شمس المغيب تعكس على الحجارة القديمة نوراً شفافاً وذهبياً. لكن لوريل لم تكن حساسة الآن حيال هذا الجمال الذي يحيط بها. كلام كارلوتا الحقير يتابعها. آه، هكذا وصفها رودريغو لابنة عمته!

ـ هل انت غاضبة، يا لوريل؟

ادارت رأسها بسرعة. كان رودريغو قربها. لم تسمعه حين وصل.

ـ أليس هذا من حقي؟

ابعدت نظرها عنه وحدقت بالماء الملونة بأشعة شمس المغيب. فقال:

ـ ابنة عمتي تصرفت بصورة حقيرة منذ قليل. وأنا متوتر جداً وآسف ايضا.

ـ شكراً.

ران الصمت ولم تجرؤ لوريل على النظر اليه مباشرة، لأنها اذا

رأت في عينيه ملامح سخرية، ستنفجر بالبكاء. لكن، ما الذي جرى لها، ما بها واقفة مثل ولد عابس؟ تشجعت وقالت بصوت ناعم قبل ان تدير ظهرها:

ـ لننس هذا، من فضلك.

لكنه تمسك بيدها بقوة وقال:

ـ لوريل...

ـ اذن، ماذا؟

ـ هل انزعجت كثيراً من هذه الفتاة الشيطانة المديمة التربية؟

ـ كارلوتا ليست شيطانة.

ـ ربما. لكن تجربتك مع الصغار تفرض عليك ان تكوني قوية امام طفلة مدللة.

حافظت لوريل على صمتها. راح يداعب وجهها ويقول:

ـ انظري الي، يا ابنتي الصغيرة، هل ما حصل الآن غلطتي أنا؟

ـ نعم. ماذا قلت لكارلوتا كي تأخذ هذه النظرة عني؟

قطب حاجبيه وقال:

ـ لكنني لا أفهم...

ـ صحيح!

ـ نعم صحيح، لا أفهم. لم أقل شيئاً لابنة عمتي كي تأخذ فكرة سيئة عنك.

ـ لكنك نجحت في ذلك.

ـ اذن، انت تطابقين الوصف الذي قامت به كارلوتا؟!

ـ أجدك تافهاً! والآن ابتعد عني.

وبحركة غير منتظرة، رفعها من خصرها في الهواء. قبل ان يجلسها بقوة على حافة البركة. وامام صراخها راح يضحك من كل قلبه

ويقول:

.. لن أدعك تقومين من مكانك قبل ان نضع حداً نهائياً لسوء التفاهم هذا. اولا كوني أكيدة بأني لم استعمل ابداً هذه التعابير الفظة عندما حدثتها عنك. ثانياً، ارجو ان تفهمي بأن كارلوتا لا تتكلم الانكليزية بصورة حسنة.

ـ ارجوك، اتركني، والا سأقع في الماء.

لكن سرعان ما وجدت نفسها متعلقة بعنقه. حملها من جديد وهو يضحك ثم وضعها على الأرض وما زال متمسكاً بذراعيها. ثم قال:

ـ لا أريدك ان تكوني كلوح الثلج، غير قادرة على الشعور بأي انفعال عاطفي.

آه، لو يعرف حقاً، ما الذي تشعر به وهي بين ذراعيه؟

ـ لكن جدياً، يا رودريغو! كنا نتحدث عن كارلوتا. لا شك انك وصفتني بانسانة متوحشة. ولو كنت مكانها لفعلت الشيء نفسه.

ـ لماذا ترتجفين هكذا يا لوريل هل خفت من ابنة عمتي الشقية؟

ـ كلا، طبعاً. لكن...

ـ آه، لم انتبه. نافورة الماء. اعذريني... لكن ثوبك مبلل حول ظهرك!

وبحركات فوضوية حاولت ترتيب هندامها. فقال لها رودريغو اخيراً:

ـ هيا، يا لوريل، لا أقلق من أجل كارلوتا، ولحسن الحظ انها ما زالت تخاف من جدتي. تعالي. لندخل. أنا أكيد من اننا سنجد فتاة هادئة... ولائقة.

رفعت لوريل نظرة متسائلة نحوه، فقال:

ـ نعم، أمرتها بتغيير ملابسها وارتداء بزة لائقة، قبل ان

تجن جدتي.

لما وصلا الى حافة الشرفة، توقفا. فسألت لوريل، رافعة عينيها القلقتين نحو رفيقها:

ـ هل ستذهب غداً؟

ـ نعم.

ـ كم من الوقت ستكون غائباً؟

ـ اسبوع، ربما، اسبوعان. لا أكثر. سأعود قبل الاحتفال السنوي.

ـ هل هذا الاحتفال خاص بالجزيرة؟

ـ نعم. في هذا النهار نحيّ شفيعة الجزيرة، سيدة النبع. ألم تزوري بعد الكنيسة المكرسة لها؟

ـ كلا. هل هي بعيدة من هنا؟

ـ انها تقع على بعد سبعة كيلومترات. كل سنة، في العشرين من شهر ايار/ مايو، نحتفل باليوم الذي نبعت فيه المياه، وبالنبع الذي لم يجف بعد، منذ دهور عديدة. من زمان بعيد، كانت الجزيرة تعاني من الجفاف. كان الحصاد يابساً والماشية تموت عطشاً. وبعد الصلوات المتعددة، انبثق الماء من الصخرة. وهكذا كل سنة، بعد الاجتماع الاحتفالي، نقوم بزيارة الروابي الخضراء الواقعة قرب الكنيسة المبنية قرب النبع. وبعدها نحتفل بعيد كبير في حدائق فالديروزا. انها فرصة نادرة، وانا سعيد لأنك ستشتركين فيها هذه السنة.

ـ شكراً رودريغو. انا فرحة جداً بهذه المناسبة.

وبصمت عادا الى القصر. الابتسامة على وجه الكونت، بينما الانهيار يحتل قلب لوريل. مم هي خائفة؟ هل بسبب رحيل

الكونت؟

حاولت جهدها الابتسام في طريقها الى شقة دونا ليزا. قربها، وجدت كارلوتا، بثوب ابيض أنيق، كالملاك الهادىء. ولحسن الحظ أن ايفون كانت قد وصلت. لكن لوريل لم تكن تفكر الا برودريغو. لماذا تخاف على غيابه الى هذه الدرجة؟

٨ـ المحتالتان

وفي صباح اليوم التالي رحل رودريغو مباشرة بعد الفطور وبحزن عميق حضرت لوريل فترة رحيله. لم تنم طوال الليل، وتعرف جيداً سبب ذلك. عندما يعود رودريغو ستكون على وشك مغادرة الجزيرة لتحضر موسم السياحة، وبعد أيام قليلة تحمل حقائبها مع ايفون وتغادر القصر والجزيرة وكل من فيها وتعود الى بلادها ومن جديد الى ممارسة عملها. وبينما كانت تنظر الى الكونت يصعد في سيارته ويومىء باشارات الوداع، شعرت لوريل بالضياع والوحدة. لكن عليها الاقتناع بأن الجزيرة والقصر وصاحبه ستصبح ذات يوم ذكريات حلوة، ماضية.

وبحزن كبير دخلت البهو تفكر بالندم والحسرة على كل ما عانته

خلال الليل، اجّلت مراراً اخبار الكونت عن سبب وجودها في هذه الجزيرة. في بادىء الأمر وجدت طبيعياً ان تكون من جهة مديرها. لكن، مع مرور الوقت، بدأت تشعر بضرورة الافصاح عن كل شيء. لم تعد تحتمل هذا الغش، بالرغم من مخاوفها تجاه ردة فعل صاحب القصر. وبدت لها المشكلة صعبة: كيف ستتمكن من اقناع رودريغو بانها لم تقصد أبداً خداعه؟ هل سيفهم الموضوع؟ ولمجرد تفكيرها فيه راحت ترتجف من الخوف... أليس أفضل ان تستمر في الصمت، ما دام مكوثها في الجزيرة قد اشرف على نهايته؟ ربما لن تراه أبداً بعد ذلك...

- آنسة...

صوت قوي جعلها تنتفض وتدير رأسها لترى كارلوتا أمامها. أضافت الفتاة الاسبانية بابتسامة واضحة:

- هل تسمحين لي ان أدعوك لوريل؟

- طبعاً...

ترددت كارلوتا لحظة قبل ان تتابع قائلة:

- كان يجب ان اعتذر منك مساء امس... وأرجو... ان تعذريني على تصرّفي الوقح. لم أكن أعرف ما قلته، لشدة غضبي. هل تسامحينني؟

اجابت لوريل بابتسامة دافئة، مندهشة من تغيّر الفتاة غير المنتظر:

- طبعاً.

- شكراً. والآن بامكاننا ان...

وصول ايفون السريع قطع كلام الفتاة.

- لوريل، انا ذاهبة الى شاطىء البحر مع كارلوتا. وسنأخذ

الحصانين. هل توافقين على ذلك؟

قالت كارلوتا متسائلة:

- لكن، ربما لوريل تريد المجيء معنا، يا ايفون؟

أجابت ايفون بسرعة:

- لكنها لا تعرف ركوب الخيل. كما انها على موعد مع دونا لويزا، كل صباح. هل أنت مستعدة؟

- لحظة. أريد اعلام جدتي بذهابنا.

ولما اختفت كارلوتا باتجاه شقة جدتها قالت ايفون:

- اظن أننا سنلهو معاً جيداً!

بعد قليل ذهبت الفتاتان الى البحر. والعجوز شاهدت خروجهما، متكئة على عصاها. ثم قالت للوريل:

- أنا أكيدة من انهما ستتفقان. مشكلة اللغة غير واردة عند هذا الجيل الشاب. آه، كم تغيرت الأمور!

مدت لوريل يدها لتساعد الكونتيسة على دخول الصالون، فقالت لها العجوز:

- لكن ألم يكن مفروضاً ان تكوني معهما، يا ابنتي. ستضيعين وقتك في سماع حديثي الممل.

أجابت لوريل بلطف وبساطة:

- في كل حال، أنا لا أجيد ركوب الخيل. كما لا اشعر أبداً بان وقتي يضيع برفقتك. لن استطيع ابداً ان اشكرك على ضيافتك الحسنة.

- لا يجب المبالغة. أنا اعرف جيداً سبب وجودك هنا. حفيدي لم يخف عليّ هذا الأمر.

- لدي أسباب معينة لاشكر رودريغو على كل ما فعله من أجلنا.

ـ آه، صحيح؟
اذن رودريغو حفظ سرّ ما حصل لها. شعرت لوريل بارتياح وقالت ببطء:
ـ أنا لا أنسى كيف خلصني رودريغو من ورطة كبيرة، بعد وصولي الى هذه الجزيرة، بأيام قليلة.
ران صمت قصير قبل ان تقول العجوز:
ـ لا شك انك لا ترغبين في استعادة هذه الذكريات المؤلمة. ومهما حدث، أنا سعيدة لوجودك هنا في القصر. كارلوتا فتاة شقية ومتعبة... لكن المهم ان تتفق مع ايفون!
تمنيات دونا لويزا تحققت واصبحت الفتاتان صديقتين حميمتين لا تفترقان لحظة واحدة. وشعرت لوريل بأنهما وضعتاها جانباً. كلما ظهرت أمامهما، تسكتان أو تهمسان سراً. واغتنمت لوريل هذه الفرصة لاكمال الملف المطلوب منها من قبل مديرها. كما صوّرت بضعة أفلام ملونة لن تظهّرها الا بعد عودتها. لكنها كانت تجد صعوبة في رسم خريطة جديدة للجزيرة. وحده رودريغو بامكانه مساعدتها. لكن كيف تطلب منه ذلك؟ أحست بأنها تلعب دور الفتاة المتجسسة. كلما فكّرت برودريغو، تيار قوي يجتازها في كلّ كيانها. وكلما تخيّلت ردة فعله وقعت في هاوية من القلق الشديد.
فجأة اخذت قراراً نهائياً. ستبوح له بكل شيء حين يعود، وذلك من اجل راحة ضميرها وهدف مهمتها. وفي حال اراد مديرها متابعة القضية، لن يجابه هذا الأخير رفضاً قطعياً من قبل رودريغو، نتيجة اكتشافه خدعتها.
صحيح ان هذه الجزيرة تبدو مركزاً رائعاً للاقامة، لكنها كانت تتمنى ان يكون هذا المكان بعيداً عن السياحة العالية والنوادي

الليلية...
ولما عادت الفتاتان سألتهما لوريل:
ـ هل قضيتما نزهة جميلة؟
أجابت كارلوتا:
ـ نعم. الماء رائعة. للأسف انك لا تعرفين ركوب الخيل.
ضحكت ايفون في سرّها وقالت:
ـ آه! لكن لوريل لا تجهل ذلك كلياً. لقد سبق وامتطت حصان الكونت مرّة.
ـ آه، صحيح؟
ـ وكان رودريغو معها!
نظرت لوريل الى ايفون نظرة قاسية، فاعتذرت هذه الأخيرة قائلة:
ـ آه، عفواً! لم أكن أنوي ذلك... انها مزحة، يا كارلوتا. لن تمتطي لوريل حصان الكونت، مهما كلّف الأمر.
قالت كارلوتا في ريبة:
ـ بصراحة، أنا لم أفهم المزحة، تماماً!
ـ وهل هذا ضروري؟ هل سنبقى هنا حتى المساء!
وعلى مائدة الغداء، اظهرت كارلوتا عن برود حيال لوريل، لكنها لم تطرح عليها الاسئلة. ثم اختفت بعد ذلك مع ايفون. ولم ترهما لوريل الا في المساء حيث بدتا كأنهما تخططان لمؤامرة ما.
وبينما كانت لوريل تستعد للنوم، دخلت ايفون الى غرفتها وراحت تعبث بمساحيق الزينة الموضوعة على المنضدة وتقول:
ـ هل بامكاني استعمال بعض المساحيق من عندك؟
ـ تفضلي.

نظرت ايفون في المرآة وراحت تضع المسحوق المبلل على وجهها ثم قالت:

ـ لوريل...

ـ نعم؟

ـ هل بامكانك ان تعطيني بعض المال؟

ـ هل انت مفلسة؟

ـ اوه... لقد اشتريت اليوم قبعة من القش، كما اشترينا كمية كبيرة من البوظة.

قطبت لوريل جبينها وقالت:

ـ والدك اعطاك مبلغاً محترماً من المال، ومن المستحيل ان تصرفيه كله، في هذا المكان المعزول عن العالم.

ـ آه، المال يصرف بسرعة خلال العطلة. وهذا امر معروف كلياً. لا تنظري اليّ هكذا، يا لوريل. لم أصرف كل ما معي من مال. لكن كارلوتا تريد ان تقوم بنزهة غداً ولا اريد ان اكون مفلسة برفقتها.

ـ اي نزهة هذه؟

ـ سنأخذ الباخرة.

ـ لكن، الى اين ستذهبان؟

قالت ايفون بعدما جلست على حافة السرير:

ـ آه، لوريل، لا تسببي لنا المشاكل. نملّ هنا حتى الموت. وكارلوتا تعرف جيداً الى اين تذهب.

ـ لا اشك بذلك. لكن... هل دونا لويزا على علم بذلك؟

ـ ربما. سنذهب غداً... الى الجزر المكتظة بالسكان. آه، كم ستكون رحلتنا ممتعة!

ـ لكن، لا يمكنكما ان تعودا في النهار نفسه. تذكري بأننا قضينا خمس ساعات في البحر من لاس بالماس حتى وصلنا الى هنا.

ـ أعرف. ولهذا السبب أريد بعض المال. سننام هناك ونعود في اليوم التالي. ولا أريد ان أدع كارلوتا تدفع عني أجرة الفندق. أرجوك، يا لوريل، لا تكوني قاسية. والدي اعطاك المال الكافي، أليس كذلك؟

ـ هذه الرحلة غير واردة ولن أسمح بها. في كل حال، ليس قبل عودة رودريغو.

ـ آه، كنت أعرف جيداً بانك تنغصين الافراح وتعرقلينها! كل شيء سيفسد بسببك.

ـ بالعكس، أظن أنني سابعد كارلوتا عن بعض المشاكل، بتصرّفي هذا. اذهبي الى النوم الآن وانسي هذا المشروع.

نهضت ايفون حانقة وقالت قبل ان تصفق الباب:

ـ يا لوريل المسكينة، لا تعرفين سوى النظام الصارم! انت متأخرة قرناً بكامله!

هذه السخرية الوقحة من قبل ايفون جرحت شعور لوريل. لقد طفح الكيل. كان دور كارلوتا في البداية والآن أصبح دور ايفون منغصة الافراح! وماذا بعد! يا لها من مسؤولية كبيرة، عليها ان تتحملها، تجاه فتاتين مراهقتين شقيتين!

وفي صباح اليوم التالي، اضطرّت الخادمة ان تأتي ثلاث مرات قبل ان تتمكن من ايقاظ لوريل من نومها العميق. كانت الساعة التاسعة. فقالت الخادمة بخليط من الاسبانية والانكليزية:

ـ أنا آسفة لايقاظك. ومتأسفة لـ...

ـ لا تخجلي، ارجوك.

ـ ليست الغلطة غلطتي... هل فهمت، يا آنسة؟

كلا، لوريل لم تفهم، لماذا كانت صوفيا المسكينة مرتبكة وخائفة.

وعلى مائدة الفطور كانت وحدها. لا شك ان الفتاتين ذهبتا على ظهور الخيل في نزهتهما الصباحية العادية. وبعدما انتهت من احتساء القهوة، صعدت الى غرفتها لتغسل يديها وتأخذ سترة، لعلّ دونا لويزا أحبت التنزه خارجاً. فالريح القوية تعصف حتى في أعالي الاشجار.

فتحت دولاب خزانتها وفوجئت بالفوضى داخله. وجدت حقيبة يدها مفتوحة. كمية كبيرة من المال اختفت! شحب لون وجهها واطلقت صرخة استغراب. آه، لا شك ان ايفون دخلت الى غرفتها خلال الليل وسرقت المال. القت نظرة الى غرفة ايفون وتأكدت من شكوكها عندما رأت ان بعض ملابسها وحقيبتها اختفت. نزلت لوريل من جديد الى البهو، فالتقت بماريا التي أعلمتها بأن الكونتيسة تريدها. لا شك ان دونا لويزا اكتشفت اختفاء الفتاتين وستطلب منها تفسيراً لما حدث. لكن العجوز استقبلتها بلطفها العادي وأضافت تقول:

- تبدين مهمومة، يا صغيرتي؟ ماذا جرى؟

أخبرتها لوريل بما جرى، فصرخت الكونتيسة ملتفتة الى السماء:

- يا الهي! هل انت متأكدة؟

هزت لوريل رأسها بحزن، فصرخت العجوز قائلة:

- يا لكارلوتا الشقية! ربما طلبت السيارة باكراً في الصباح...

- لكن... الم يطرح عليها جوزيه الاسئلة؟

- جوزيه؟ لا يسمح لنفسه ان يفعل ذلك. انه خادم لائق ومهذب.

- آمل ان تجري الأمور بخير. اشعر بثقل المسؤولية.

- لا تقلقي، يا ابنتي. ماذا يمكنك ان تفعلي ضد فتاتين عنيدتين، غير ما فعلته، لمنعهما من تنفيذ هذا المشروع؟ لا يجب ان تلومي نفسك أبداً.

- نعم. لكن أخاف من...

- مما سيقوله رودريغو؟

- نعم.

- هذا أمر بسيط للغاية. لن نقول له ما حصل، شرط الا يعود قبلهما.

- قال لي بأن غيابه سيدوم أسبوعاً على الأقل. والفتاتان ستعودان مساء الغد...

- لكن، يا صديقتي الصغيرة، كذبتا عليك! الباخرة اليوم لا تذهب الى لاس بالماس، بل الى ماديرا!

- الى ماديرا!

- نعم... ولن تعود قبل خمسة أيام.

شحب وجه لوريل وقالت:

- لكن ايفون لم تحدثني ابداً عن... عن...

لم تستطع اكمال جملتها، غير قادرة أن تصدق بأن ايفون كذبت عليها بملء ارادتها.

وبعد يومين سألتها الكونتيسة:

- تبدين منزعجة، يا صغيرتي، لماذا؟

- طال غياب الفتاتين، وقد انشغل بالي.

- تتحملين مسؤولياتك بجدية، يا لوريل وتتألمين كثيراً.

وأمام نظرات الفتاة المندهشة، اكملت العجوز قائلة:

- في سني ينظر المرء الى الأمور بعين مختلفة. لقد تربيت تربية

قاسية وتعلمت احترام التقاليد والعادات. وربيت أولادي بالطريقة نفسها. اما اليوم فالجيل الجديد ينتقد بعنف كل «ظلم» ويطالب بالحرية. ربما، أحسدهم احياناً على هذه الحرية التي يتمتعون بها.

مهما كانت نظريات الكونتيسة الفلسفية، فلوريل هي التي ستتحمل مسؤولية غياب الفتاتين. اذا عاد رودريغو قبل عودة كارلوتا وايفون لن ينظر الى الأمور بتحرر كما تنظر اليها دونا لويزا. اما، فيما يتعلق بغوردن سيرل، فماذا سيقول لو عرف بمغامرة ابنته؟

ولحسن الحظ، عادت الفتاتان قبل مجيء الكونت وصرخت ايفون وهي ترتمي على عنق لوريل:

ـ آه، كانت رحلة رائعة! انا آسفة للذهاب سراً. هل تلومينني؟ أنظري ما اشترينا لك... انها حقيبة يد مصنوعة من القماش المطرز الجميل.

اضافت كارلوتا وهي تقبل خدّ دونا لويزا:

ـ هذه زجاجة العطر لك، يا جدتي. انه عطرك المفضل.

كان العشاء حافلا بما لدى الفتاتين من أشياء تقولانها عن رحلتهما. وكانت دونا لويزا تصغي اليهما بحماس شديد واهتمام. ثم قالت:

ـ لدي صديقة في ماديرا تدعى السيدة بيربرا، هل تتذكرينها، يا كارلوتا؟ زوجها كان يعمل في السلك الدبلوماسي، والآن متقاعد ويعيش مع عائلته في هذه الجزيرة. للأسف لم تفكري بزيارتها.

ـ بل، فكرت بذلك. لكنني لم اتذكر عنوانها. في المرّة المقبلة، سنأخذك معنا، يا جدتي.

ـ يا الهي! وماذا بعد، يا مجنونة! اخشى ان...

لا أحد عرف ما كانت تخشى، ودخل جوزيه بصمت وهمس

للعجوز. صمت الجميع نظرت الكونتيسة الى لوريل باندهاش ثم قالت:

ـ لوريل، انت مطلوبة على الهاتف.

باندهاش وقلق، نهضت لوريل معتذرة وتبعت جوزيه. هل يطلبها غوردن سيرل؟

هل جرى شيء ما لزوجته؟

أدخلها الخادم الى مكتب الكونت وأشار باصبعه الى الهاتف الموضوع على مكتب خشبي ثم اغلق الباب وراءه من دون ضجة

حملت لوريل السماعة وهمست بصوت منزعج:

ـ لوريل دانواي على الهاتف.

سمعت ضحكة صغيرة وصرخ صوت الرجل:

ـ لا تخافي، يا لوريل! السماء لن تهبط على رأسك!

ـ رودريغو! لم... لم انتظر ان... اسمع عن اخبارك.

خارت قواها وجلست على الكرسي القريب منها وسمعته يقول بصوت ناعم:

ـ انا خجول من نفسي لانني لا استطيع الاهتمام بضيوفي كما يجب. هل كل شيء على ما يرام في فالديروزا؟

ـ نعم، شكراً.

ـ وجدتي؟

ـ انها جيدة وتنتظرك بفارغ الصبر.

ـ قولي لها بانني ساعود غداً مع عمتي كونستانس.

ـ حسناً.

بدات الخطوط تشوش، بالكاد سمعت لوريل اسمها. ولبرهة قصيرة خافت ان تنقطع المخابرة. لكن التشوش زال فقالت:

- آلو، آلو...

- ما زلت على الخط...

- هل لديك أمور تريد ان تطلبها مني؟

- كلا. لقد اعطيت أوامري لجوزيه.

حلّ الصمت قليلا ثم تابعت تقول:

- كنت قلقة لأن...

- لأن؟

- لان هذه المخابرة ستكلفك مبلغاً كبيراً.

ضحك بلطف وقال:

- اراك تخافين ان اصرف المال الكثير...

- هذا طبيعي!

- بالنسبة اليّ هذا شيء جديد ولا أرى ان الوقت يمر، خاصة عندما أسمع صوتك الرنان.

فرحت لوريل من هذا الكلام واحمرّت ولم ترد، فتابع الكونت يقول:

- احياناً أملّ من أصوات الاسبانيين القوية. لكن... لماذا هذا الصمت؟ اذن عليّ ان أسمع نصائحك وأوفر قليلا. وداعاً يا لوريل، الى الغد.

- الى الغد.

بدت السعادة تلفها وهي تعود الى الصالون. نظرت اليها الفتاتان بحشرية. ولما صعد الجميع الى النوم، دخلت ايفون الى غرفتها وسألتها:

- هل كان أبي على الهاتف؟

- كلا.

- من اذن؟

- رودريغو.

- ماذا يريد؟

- يريد ان يقول بأنه آت غداً.

- هذا كل شيء؟ هل انت مغرمة به؟

- يا لهذه الفكرة! وماذا، اذا قلت لك، بأنه أراد ان أُخبره بالتفصيل عن تحركاتكما، كارلوتا وأنت؟

- وماذا بعد؟ هذا الأمر لا يخيفني...

- أرى ذلك بوضوح... قولي الآن، كيف عرفت كارلوتا بان رودريغو لن يغيّر مشاريعه ويعود قبلها؟

تلألأت عينا ايفون وقالت:

- كانت تعرف بأنه سيعود مع كونستانس فقبل مغادرتها اسبانيا رأت كارلوتا عمتها التي اخبرتها بأنها ستحضر حفلة موسيقية في ١٨ الشهر، اي اليوم. وهكذا ادركت بأنها لن تعود قبل هذا التاريخ.

- نعم. لقد فهمت الآن. لكن لا أرى كيف ستخفي عنه ما فعلته. سيغضب بكل تأكيد.

رفعت ايفون كتفيها وقالت:

- كارلوتا لا تخاف منه.

- صحيح؟

- تعرفين ذلك؟ أنها وريثة ثرية.

- بلى، أعرف ذلك. لكنا ما العلاقة؟

- رودريغو يصرّ الا تذهب ثروة كارلوتا خارج العائلة. ولذلك سيتزوجها بعد سنة أو سنتين. ولولا ذلك لتزوج. هل تعرفين ما عمره؟

- كلا.
- عمره ٣٣ سنة. وحسب أقوال كارلوتا، لا يعيش حياة النساك.
حزنت لوريل على هذا الكلام ولم ترد، فأضافت ايفون تقول:
- لكن كارلوتا ليست متأكدة من رغبتها في الزواج منه.
- صحيح؟
- وكيف ألومها؟ رودريغو هو ملك هذه الجزيرة ولن يغادرها ابداً. هل ترين كارلوتا مسجونة في هذا القصر بقية حياتها؟
- كلا، طبعاً... هل تعتقدين... بأنها تحبه؟
- الحب لا دخل له هنا. الزواج هنا مصلحة لئلا تذهب الثروة خارج العائلة... وبانتظار ذلك تحب كارلوتا اثارة غيرة ابن خالها.
جلست لوريل في فراشها، حزينة تفكر بالحديث الذي جرى منذ قليل. هل ان فتاة مستقلة مثل كارلوتا، تقبل بزواج مصلحة؟ اذا قرر رودريغو الزواج منها، والتغلب على قلبها وعلى ثروتها، هل تستطيع كارلوتا مقاومته؟

٩- بأي حال عدت يا عيد؟

ولما استيقظت لوريل من نومها في اليوم التالي، كانت عازمة على التفكير فقط بعملها وبعودتها المقبلة الى لندن. وبالرغم من نواياها واستعداداتها، صوت داخلي لم يكف عن تذكيرها بأن الكونت في طريق عودته الى فالديروزا...

ذهبت الفتاتان في نزهتها الصباحية الاعتيادية، على ظهور الخيل. وبقيت دونا لويزا في شقتها للاستراحة بانتظار قدوم أصحاب القصر.

تحضيرات العيد في ذروتها. فوق عربة جوزيه تعلق المصابيح على اشجار الحديقة وعلى الأعمدة المنتصبة قرب حافة جدران القصر. شعرت لوريل بأن لا أحد بحاجة اليها، فقررت القيام بزيارة كنيسة

النبع. حملت سلة الطعام التي احضرتها لها صوفيا وأخذت طريق التلال.

الصباح كان رائعاً والبحر يلمع تحت سماء زرقاء خالية من أي غيمة. النسيم الخفيف الآتي من البحر يخفف من حدة الحرارة القاسية. صعدت لوريل التلال ببطء، تتوقف من حين الى آخر للتمتع بالمنظر حولها. وفجأة، ظهرت امامها كنيسة صغيرة تقع في جوف الجبل، في ظل غابة صغيرة من الصنوبر. بضع خطوات في الصخر المصقول تؤدي الى المغارة الواقعة في زاوية الكنيسة. في الواقع، المغارة كناية عن شق واسع تنبعث منه المياه الشفافة كالكريستال. كان الجو في هذا المكان المعزول رائعاً وهادئاً. الصمت لا يقطعه سوى هدير النبع.

ولما خرجت لوريل من الكنيسة تسمرت لحظة في الساحة من شدة الاعجاب. امام عينيها تبرز الجزيرة كبساط من المخمل الأخضر فُرش على البحر الأزرق. هنا وهناك، نقطة بيضاء تدل على وجود بيت أو مزرعة. احياناً يسمع صوت راع وقطيعه على طرف الجبل، او طقطقة حوافر حصان يجر وراءه عربة. الى اليسار يبرز القصر المحاط بالحدائق الواسعة المتدحرجة حتى الشاطىء. أطلقت لوريل زفرة عميقة ثم تناولت سلة الطعام وراحت تبحث عن زاوية مظللة للغداء...

وبينما كانت العصافير الصغيرة تنقر فتات الطعام، راحت لوريل تتأمل حالمة المنظر الخلاب أمامها، وهي نصف ممددة على بساط من العشب. لكن، سرعان ما أدركت الواقع. فاذا احتلت السياحة هذه الجزيرة، ماذا سيحل بالهدوء الكبير في هذا المكان الساحر؟

فجأة، انتفضت. في الأفق الفارغ ظهرت نقطة صغيرة. راح

قلبها ينبض بسرعة. الباخرة تسير في المياه الزرقاء، مقتربة من المرفأ. واذا اصغت لوريل الى قلبها لانطلقت كالمجنونة نحو الرجل الذي يعني كل شيء لها... لكن للأسف، ليست سوى غريبة في فالديروزا. وليس من اللياقة ان تعكر صفو الاجتماع العائلي. لذلك اخذت وقتها وعادت في الطريق المتعرجة. وتراءى لها بهو القصر منعشاً، بجانب الحر الخارجي. المكان هادىء. وضعت منشفتها ومنديلها ونظارتيها في المدخل، ودخلت الى المطبخ لوضع سلة الطعام. ولدى عودتها سمعت حديثاً آتياً من الصالون. ترددت في المرور امام الباب المفتوح عندما ظهرت منه كارلوتا، غاضبة، حانقة. ولما رأت لوريل، توقفت مكانها وقالت بلهجة متهمة:

- آه، هذه انت! انت من أخبر كل شيء! الا تخجلين من التدخل في امور لا تعنيك!

- كارلوتا! ارجوك ان تسكتي!

ظهر رودريغو بدوره وقال:

- ستعتذرين فوراً!

- هذا أمر غير وارد اطلاقاً!

امسك رودريغو بذراعيها وقال:

- كيف تجرؤين على اتهام ضيفتنا مجاناً؟

- أنا أعرف جيداً بأنها جاءت الى هنا للتجسس عليّ.

- انت مخطئة كلياً. ليست لوريل من أخبرني عن رحلتك السرية.

- لكن من اذن... لا أرى من يستطيع ان...

- الظاهر ان كلمتي لا تكفيك. ولا شك بأنك نسيت بأن العالم صغير... أمس، التقيت مصادفة بآل بيربرا في مدريد... لقد

لحوك مع صديقتك في ماديرا. وتأسفوا لأنك لم تزوريهم. الآن، ستعتذرين من لوريل. وأنا انتظر ذلك منك.

نظرت كارلوتا الى لوريل نظرة استياء وقالت:

- اذن، بامكانك الانتظار! لست أنا من طلب المجيء الى هنا لأجد مثل هذه الجاسوسة القذرة!
- كارلوتا! رودريغو!

ظهرت دونا لويزا تتبعها امرأة قصيرة وسمينة، شعرها رمادي. ثم قالت:

- الا تخجلان من الصراخ هكذا؟

قال رودريغو بجهد كبير:

- اعذريني، يا جدتي.
- في المستقبل، لا أريد ان اسمع عراكاً كهذا، هنا. ضيوفنا سيتأذون من ذلك. كارلوتا، لدي كلام معك. انتظريني في الصالون الصغير.

ابتعدت الفتاة الاسبانية بسرعة ومن دون احتجاج. امسكت دونا لويزا ذراع ابنتها وسارت ببطء بعدما رمقت رودريغو بنظرة متعالية.

خلال كل هذا الوقت، بقيت ايفون على حدة. لكن لوريل لاحظت انها تكبت رغبة ملحة في الضحك، فتقدمت منها، لكن رودريغو قطع عليها الطريق وقال لها وهو يشير الى باب مكتبه:

- لدي شيء أقوله لك، يا لوريل. هل بامكانك ان تعطيني قليلاً من وقتك؟

وما ان أغلق باب مكتبه وراءه حتى قال:

- لماذا لم تنفذي أوامري؟
- أوامرك؟ أي أوامر؟

- هيا، يا لوريل. لا تتصنعي السذاجة. تعرفين جيداً ما أريد قوله. كيف تجرأت وتركت كارلوتا تخالف أوامري؟
- لكن لم... لم...
- ألم تسمحي لها بالذهاب؟
- طبعاً لا!
- اذن، كيف تمكنتا من الذهاب؟
- هل تعتقد بأنه من السهولة ان تفرض سلطتك على فتاتين مراهقتين؟ نحن لا نعيش في القرون الوسطى! ليس لأنك رئيس العائلة... وبأنك، ذات يوم، سيكون لك الحق ان تفعل ما...

ترددت لحظة فسألها بسرعة:

- الحق ان أفعل ماذا؟
- ان تحدد مستقبل كارلوتا. باتباعك تقليد بال يجعلك لا تكترث بعواطف الآخرين. الا يمكنك مرة واحدة ان تبذل جهداً وتضع نفسك مكانها؟ لماذا لا تحاول ان تنصحها بدلا من معاملتها دائماً وكأنها ما تزال طفلة؟
- كيف انصح فتاة شقية وعنيدة مثلها؟ هل تمزحين واذا استمريت في الكلام بهذه اللهجة ربما سأضطر الى النسيان بأنك ضيفة عندي وأعاملك، انت ايضا، كما تستحقين. لنتوقف عن المناقشة.

بغضب، ارتمت على الباب الذي كان يفتحه لها وقالت بحماس ناقم:

- لكنني لم أنته بعد من الحديث، أنا أرى بأن غلطتي الكبيرة كانت عندما قبلت ضيافتك. آه، كان يجب عليّ ان أثق بنظريتي الأولى فيك... حين عرفت بأنك رجل بارد، قاس ومتعال، وبأنك لا تبالي بعواطف الآخرين، وبأنك اعمى حيال التقاليد البالية! آه كم

أشفق على كارلوتا المسكينة!

ـ هل افرغت ما عندك؟

ارتجفت لوريل امام نظرات الكونت القاسية وقالت بصوت حازم:

ـ نعم، ولم يعد لدي ما اضيفه.

ـ وأنا ايضا ارتكبت خطأ في الحكم عليك.

ـ آه...

ـ نعم. لقد وثقت بك وما كان يجب ان أتكل عليك.

لم تتذكر لوريل ابداً كيف تمكنت من الخروج بعد هذه الشتيمة القاسية، ولا كيف استطاعت التحلّي بالجرأة والبرود لاكمال هذا النهار الطويل.

وفي ذلك المساء كثر المدعوون الى العشاء ومن بينهم قس الجزيرة، الدون اماديو ومعلم المدرسة السيد الفاريس وزوجته، والجراح الألماني الذي قرر التقاعد في هذه الجزيرة. العشاء كان لذيذاً والحديث خصباً لكن لا شيء مكّن لوريل من التوقف عن التفكير بما حدث قبل قليل.

وبعدما انتهت هذه السهرة الطويلة، شعرت لوريل بارتياح كبير وهي تستعيد وحدة غرفتها. وبعينين تحرقهما الدموع دخلت الى سريرها محاولة اقناع نفسها بأنها تكره رودريغو، لكن من دون جدوى. اغمضت عينيها، لكن الصور ظلت تلاحقها، ذكريات ذراعي رودريغو وهي تلتف حول عنقها وحنانه الناعم والقوي في آن واحد...

مع الفجر، بدأت الحركة حول القصر. الأولاد يقطفون الزهور العطرة لتزيين العيد. في الحادية عشر بدأت الأجراس تقرع بفرح

داعية الى حضور الصلاة الاحتفالية.

كانت لوريل تنتظر في الساحة، رائعة بثوبها الابيض البسيط. شحوب وجهها الخفيف يضفي على ملامحها بريقاً ليلكياً يجعلها حنونة وجذابة.

عندما توجهت الى المائدة توقفت وترددت لحظة على عتبة الباب. لكن رودريغو نهض وانحنى ببرود. فأشارت لها دونا لويزا بالدخول قائلة:

ـ تعالي، يا ابنتي. تعرفين الآن بأننا نضج من لا شيء!

ـ المعذرة، لقد تأخرت.

قال رودريغو بتهذيب:

ـ لا، كلا نحن جئنا باكرين.

جلست لوريل مكانها وران صمت طويل. وبابتسامة ساخرة، قالت كارلوتا:

ـ لا شك ان لوريل اعتقدت بأننا كنا على وشك ان نتضارب بالأيدي، بينما كنا في الواقع نتحدث عن الطقس.

قال رودريغو:

ـ أولا، لم نكن نتحدث عن الطقس...

قالت دونا لرودريغو:

ـ نعم، بالفعل. انا مصرّة على حضور الاحتفال والذهاب الى الكنيسة.

قالت العمة كونستانس:

ـ لكن، يا أمي، فكري بالجمهور والازدحام والحر... هذا اكثر مما بامكانك تحمله. في السنة الماضية، لقد...

ـ كفى! سئمت الدلع، مثل عجوز مسكينة فقدت وعيها!

رفعت ذقنها بعناد وقالت:

ـ اذن، رودريغو، هل تصطحبني او سأطلب من جوزيه ان يخرج السيارة القديمة.

قال رودريغو منحنياً امام جدته:

ـ لا حاجة لذلك، يا جدتي. انا تحت أوامرك.

ولما رأت لوريل الكونت يساعد جدته بلطف في الجلوس داخل السيارة، لم تكف عن التفكير بظلمه تجاهها. لقد فرض عليها مسؤولية كبرى، ثم راح يتهمها بالفشل في أمر لا ارادة لها فيه.

ولحسن الحظ تمكنت لوريل من عدم التفكير بحزنها امام الفرح العام خلال هذا النهار الكبير المليء بالألوان. الجميع في الشوارع، بثياب الأحد: الرجال بالبزات السموكينغ السوداء والفتيات بالابيض، والنساء بالثياب الملونة.

الكنيسة كانت تعج بالناس والحر لا يطاق. الشموع تضيء منصة العذراء المرتدية ثوبها الاحتفالي، بالوانه الزرقاء، الوردية والفضية.

اخيراً جاء الوقت الاحتفالي الذي ينتظره المصلون بفارغ الصبر.

وببطء خرج الناس من الكنيسة والمنصة محمولة على سرير أبيض، ذهبي ويفيض فرحاً وراح الأولاد يضعون باقات الزهور. وبدأ الاحتفال بالنشيد الوطني، داخل المدينة، ثم على طريق التلال.

وبسرعة اختفت كارلوتا وايفون بين الجمع. اما لوريل فلم ترفع نظرها عن قامة الكونت المشرقة. احياناً كان يلتفت الى الوراء ويلقي نظرة الى الموكب، كأنه يبحث عن شخص معين. وفي كل مرة كانت لوريل تحاول الابتسام او التحدث مع الذين قربها.

المكان صغير لا يقدر ان يحتوي جميع المصلين. بقي القس خارجاً، تحت السماء الزرقاء وتم الاحتفال ببساطة متناهية. بعدها

تجذب السياح والآن، بدأت تعدين الرحلات السياحية، أليس كذلك؟

تلعثمت لوريل وقالت:

ـ أنا... أنا لا أفهم ما تقولينه.

ـ بلى، تفهمينني جيداً. ولا حاجة لنفي ذلك. في كل حال لم يعد ذلك سراً لأحد. لماذا ترسمين اذن خرائط الجزيرة ولماذا تدونين جميع التفاصيل أليس والد ايفون مديراً لمكتب السفريات وأنت مساعدته؟

شعرت لوريل بدوار وبغموض وسمعت تعجب الكونت.

اضافت كارلوتا تقول:

ـ نعم، هذا صحيح، يا رودريغو. انت لا تعلم بالأمر. انهم يريدون جلب السياح الى هنا، وبناء الشقق المفروشة والمطاعم الفخمة والنوادي الليلية. سيأتي السيّاح بالألوف ليدمروا كل شيء، كالجراد. وأنت ألم تكن تعرف ذلك،اسألها انت بنفسك. لا يمكنها انكار ذلك. هذه مهنتها.

ـ هل هذا صحيح؟

رجعت لوريل الى الوراء امام نظرات رودريغو القاسية. هل ايفون هي التي افصحت لكارلوتا عن سبب وجودهما هنا؟ لكن فجأة، وكالبرق، فهمت كل شيء... المنشفة التي تركتها في المدخل ذلك اليوم...

ـ كلا، دعني أشرح لك. لم انوِ أبداً ان...

ـ الحقيقة. اريد الحقيقة. هل تعملين، نعم، ام لا، عند هذا... هذا...

قاطعته كارلوتا، فرحة من نفسها:

ـ يدعى غوردن سيرل وشركته تدعى: «السياحة الكوكبية».

قال كأنه لم يسمع ما قالته ابنة عمته:
- هل ستجيبينني؟
- نعم، لكن... أنا...
- حسناً. لست بحاجة ان أعرف المزيد. لقد خدعتني... لقد...

وضعت لوريل يدها المرتجفة على ذراعه وقالت متوسلة:
- أرجوك، اسمعني. لقد...

ابتعد عنها وقال بغضب:
- لا أريد ان أسمع شيئاً. يكفي ما كذبت عليّ، حتى الآن. اعتقد بأن عودتك الى لندن اصبحت اكيدة وبسرعة. وجوابي هو نفسه، الذي اعطيته لشركة من هذا النوع. أبداً، لن أدع السياحة تطور هنا. مساءَ الخير.

وبسرعة جنونية، غادر الكونت واختفى داخل القصر.

وجدت لوريل نفسها وحيدة على الشرفة، وسط فرقعات سعادتها المدمرة. حولها العيد ما زال مستمراً...

١٠- سهرة لم تحصل

النهار الأخير، الذي امضته لوريل في فالديروزا، سيبقى محفوراً في ذاكرتها الى الأبد. ومنذ ذلك الحين مضت ثلاثة أسابيع، استعادت لوريل حياتها اليومية الاعتيادية، لكن قلبها ما زال حزيناً. وكلما فكرت بيومها الأخير في جزيرة المصير، تتذكر الساعات الطويلة التي قضتها بين خوفها من مجابهة رودريغو وبين رغبتها في رؤيته، ولو لمرّة واحدة.

أخيراً، غادرت القصر من دون ان تراه ومن دون ان تستطيع شرح ظروفها له. كان قد غادر الجزيرة منذ الفجر، مصطحباً كارلوتا معه. ترك لضيفتيه كلمة لطيفة، مهذبة طالباً منها عدم التردد في استعمال الهاتف لابلاغ ذويها عن وصولها، مشيراً بأن جوزيه

سيهتم بحقائبها وبايصالها الى المرفأ.

دونا لويزا وحدها تمنت لهما رحلة سعيدة. وكادت لوريل ان تذرف الدموع لدى رؤية وجه العجوز الحزين والمتأسف.

وخلال العودة، تمكنت ايفون من رفع معنويات رفيقتها عندما اخبرتها هذه الأخيرة بما جرى، من غير ان تلومها. كان غوردن سيرل بانتظارهما في المطار. باشرت ايفون بسرعة في سرد تفاصيل مغامرتها الفاشلة، غير تاركة للوريل المجال في الكلام.

- آه، كيف تمكنتما من دخول القصر؟ ان تدعيا اليه أمر خارق.

أجابت ايفون:

- هذا بفضل سحرنا الكبير، طبعاً.

ولما رأت تعبير لوريل المتقلص، خففت من حدة لهجتها وقالت:

- في الواقع، حدثت للوريل مغامرة غير مفرحة، بعد قليل من وصولنا الى الجزيرة. والكونت هو، بنفسه اخرجها من تلك الورطة.

وراحت ايفون تخبر والدها بتفصيل ما جرى، مصرّة على عدم اخباره الدور المتعلق بها. فسأل غوردن سيرل سكرتيرته بنبرة شكوكة:

- هل كلام ايفون صحيح، يا لوريل؟

- نعم. آه، يا سيدي، افسدت كل الخطط، بوجودي هناك...

- لكن، لا يمكنك ان تفعلي المستحيل. ارجوك، لا تحزني.

اصطحبها غوردن سيرل الى مطعم جيّد بعدما مرّ الى المنزل واخذ زوجته التي شفيت تماماً. وخلال الطعام راح يتحدث عن مشروع آخر، من النوع نفسه، لكن في جزر الكاريبي. ولم يعد واردا التحدث عن «جزيرة المصير»، اذ ان غوردن سيرل لا يحب اضاعة الوقت في التأسفات غير المجدية...

وخلال العشاء، كانت لوريل تلوم نفسها على كل ما حدث. لماذا لم تحدث رودريغو بالحقيقة منذ وصولها الى القصر؟ ولماذا وقعت في حب هذا الارستقراطي الرائع والكريه في آن واحد؟

اوقف غوردن سيرل سيارته قرب المكتب ونظر الى لوريل وقال:

- ما بك يا لوريل، حزينة هكذا؟

هزت رأسها من دون ان تنطق بكلمة. فقال:

- هل ما زلت تفكرين بالمهمة الفاشلة، في جزيرة المصير؟

ومن جديد هزّت رأسها. فأضاف يقول:

- اراك مضطربة ويائسة منذ وصولك لا حاجة للتوتر، يا لوريل. انسي كل ما جرى وحصل، حتى الآن.

ان تنسى ما حصل، كيف؟

- انها مهمة خاسرة، منذ البداية. اقطعي عليّ وعداً بعدم التفكير فيها من جديد. هل اخبرتك ايفون عن الحفلة التي سنقيمها في مناسبة عيد ميلادها؟

- نعم. وكنت على وشك ان اسألك، ماذا يمكنني ان أهديها، في هذه المناسبة.

قال مازحاً:

- اذن، قبل أيّ شيء، تحب ايفون، كل ما يتعلق بالعطورات!

ابتسمت لوريل، فأضاف مديرها يقول:

- لائحتها كبيرة، تمتد من جوارب كريستيان ديور الى سيارة مكشوفة، مروراً بآلة تسجيل «هاي فاي»، تحلم بها منذ دهور.

توقف لحظة ثم أضاف يقول:

- بصراحة، اصبحت سهلة أكثر وذات مزاج ثابت، منذ رحلتكما. وشفاء زوجتي له تأثير كبير في هذا التغير أيضاً.

قالت لوريل بلطف:

- انا سعيدة جداً لسماع هذا الكلام.

- انا مدين لك بالكثير، يا لوريل. وابنتي تحبك كثيراً. آمل ان تبقي صديقتها.

دخل الى مكتبه، تاركاً لوريل حائرة. مشاكل مديرها العائلية انحلت. آه، ماذا عن مشاكلها هي؟ ضميرها ما زال يطاردها وقلبها ينزف من جرح لا دواء له. والآن، ماذا بامكانها فعله؟ لا شيء. الشرّ قد حصل. بعد عودتها، بأيام قليلة، بعثت لوريل برسالة الى رودريغو، معتذرة عن خداعها له، شاكرة له، استقباله الحميم وضيافته الودودة. وقبل ان تضع الرسالة في البريد فكرت كثيراً. هذه الرسالة لن تغير شيئاً. لم يخف رودريغو ما يفكره تجاهها، لكن على الأقل فعلتْ واجبها. ولم يعد أمامها الآن سوى محاولة النسيان، وهذه أصعب المراحل.

ربما كانت تتأمل رداً على رسالتها... لكن الأسابيع تمرّ وأملها يضمحل. لم تعد تجد طعماً في هذه الحياة. مع العلم بأنها تعرفت على وجوه جديدة وأصبح لديها اصدقاء من جديد، بعضهم دعوها للخروج، لكن لا أحد نجح بعد ان يخرجها من تكتمها وتحفظها.

وذات يوم، في أواخر تموز (يوليو)، جاءت ايفون الى المكتب وصرخت للوريل قائلة:

- بدأ بالي ينشغل عليك! الظاهر انك لم تستفيدي من هذا الصيف الجميل... ماذا جرى؟

- لا شيء. العمل كثير والوقت قليل.

- لا تبالغي. والدي ليس صارماً الى هذه الدرجة ليرهقك بالعمل!

- أنا لم أقل هذا الكلام.

- اسمعي، يا لوريل... كوني صريحة. هل بسببي أنا؟ هل وجودي قربك يضجرك؟ لقد تصوّرت بأنك فرحت عندما دعوتك الى قضاء عطلة الأسبوع في قريتنا...

لم ترد لوريل على الفتاة، لأنها لم تفهم ما قالته. تابعت ايفون الكلام مضيفة:

- لقد... لقد تذكرت فجأة بعض المضايقات والكلام البذيء الذي استعملته معك هناك، في الجزيرة... ربما ما زلت تلومينني على ذلك؟ لم أكن أدري ما أقوله، لأنني كنت اجتاز مرحلة صعبة و...

- لكن، يا ايفون، كيف تفكرين هكذا... لم تزعجيني قطعاً بل فرحت كثيراً بعطلة الأسبوع التي قضيتها مع عائلتك.

- لكن، ما بك اذن؟ هل تشاجرت مع فيليب؟

- فيليب؟

كادت لوريل ان تنفجر من الضحك. لم تلاحظ قبل الآن، بأنها لم تفكر به لحظة واحدة منذ عودتها. ابتسمت بسخرية. اذا كانت تستطيع ان تنسى الرجل بهذه السهولة، فالأمل ما زال وارداً اذن.

- كلا. الأمر لا يتعلق بفيليب. في كل حال، كيف عرفت بوجوده؟

- بواسطة أبي. لقد ذكره مساء أمس، وأخبرنا بأنه كان يتصل بك الى المكتب أو يأتي لاصطحابك. ابي مستغرب لأنه لم يعد يراه.

- لقد مضت ثلاثة شهور على افتراقنا.

- حسناً. لن افتح هذا الموضوع بعد الآن، ما دامت القصة قديمة. أوه... اسمعي، يا لوريل، جئت اسألك اذا كنت حرّة هذا

المساء. أعرف بأن الوقت قصير. . . لكن هل تتذكري تشارلز؟ أعرف بأنك لا تبالين به. . . لكن شقيقه ريتشارد عاد منذ قليل من مصر، وفتح صالة رقص جديدة، من الطراز الحديث. هذا المساء سنذهب الى حفلة تقام في صالته واريدك ان تأتي معنا وتتعرفي على ريتشارد. . . مارك وساندرا آتيان أيضاً.

ـ آه، آه، لقد تغيّرت كثيراً، يا ايفون واصبحت تفكرين بالغير.

ـ اذن، هل تأتين معنا؟

ـ حسناً. وماذا سأرتدي: الجينز ام ثياب السهرة؟

ـ آه، انصحك بارتداء الفستان الموسلين الذي جئت به ليلة حفلة عيد ميلادي. انه رائع. أراهن بأن ريتشارد سيقع في حبك بسرعة.

ذهبت ايفون الى المزين بعد ان وعدت بالمرور الى منزل لوريل في الثامنة. وكالعادة، عادت لوريل من عملها في الخامسة، فرحة لفكرة الخروج في المساء، فربما تستطيع ان تنسى العيون الجنونة والعناق الشغوف لمن تزال تحب حتى الآن.

كانت لوريل تستعد للدخول الى الحمام، عندما رن الهاتف. خفق قلبها عندما سمعت صوت ايفون، خشية تأجيل السهرة أو الغائها.

ـ اتصل بك لاعلمك بأنني سأمرّ بك باكراً، أي في السابعة والنصف. والذي بحاجة الى السيارة، فسيوصلنا الى منزل ساندرا حيث سنلتقي ببقية المدعوين. هل ستكونين مستعدة في هذا الوقت؟

ـ نعم. لا تقلقي. لن اتأخر.

ـ حسناً. الى اللقاء القريب.

اعادت لوريل السماعة ونظرت الى ساعة يدها. ما زال أمامها متسع من الوقت لتستحم وتزيّن وجهها فتبدو جميلة وأنيقة. دخلت

الحمام وتمتعت بالماء الساخن والصابون الخاص الممزوج بالعطور الزاهية. ثم ارتدت مئزرها الحريري ووضعت ملابسها على السرير وجلست أمام طاولة الزينة لتلوّن اظافرها قبل ان تزين وجهها. وبعد عشر دقائق، فتحت الماء البارد فوق أصابعها بغية تجفيف الطلاء بسرعة. وفي تلك الاثناء سمعت جرس الباب. انتفضت: مستحيل ان تكون ايفون، فالساعة ما زالت السابعة. اسرعت الى الباب قائلة:

ـ لكنك جئت باكرة جداً، يا ايفون! لم استعد. . . آه.

لم تكن ايفون. أصابع لوريل الباردة ابتعدت عن مقبض الباب. اسندت نفسها الى الحائط، وحدقت مرتجفة بزائرها. هذا مستحيل، انها تحلم!

ـ مساء الخير، يا لوريل.

الشبح تكلم.

همست بصوت مخنوق:

ـ رودريغو. . .

نظر اليها مفصلا وقال:

ـ الظاهر انك فوجئت جداً لرؤيتي! لقد جئت رداً على رسالتك. لكن أخشى ان أكون مخطئاً باختيار الوقت اعذريني. سأعود في وقت لاحق.

كاد يبتعد عندما خرجت لوريل من حالة الذعر التي اصابتها منذ وصوله ومدت له يدها قائلة:

ـ لا، لا ترحل. . . لم. . . لم اكن أتوقع ان. . . ان. . .

وذابت في نظرة رودريغو السمراء التي تصوّرت بأنها لن تراها بعد الآن. تسمّر الكونت لحظة على عتبة الباب، متأملا كيف تلفّ حولها

المئزر الحريري فسألها:
- هل تثقين بي؟
تمكنت من القول بصوت متقطع:
- وكيف لا . . .
صفق الباب وراءه وقال:
- في بلادنا، لا يحق للرجل ان يرى خطيبته في وضع كهذا، وكيف بالاحرى اذا كان وحده معها. . .
أجابت بصوت مطمئن.
- أنا لست خطيبتك ولا أسبانية. في كل حال، كنت استعد لارتداء ملابسي. اذا كان باستطاعتك انتظاري لحظة. . . لن أطيل غيابي. . .
تقدم منها وقال:
- كلا، يا لوريل، انتظري. قولي، لماذا كتبت لي؟
- لماذا؟ ربما لأني شعرت بالذنب.
- هذا كل ما في الأمر؟
- أهذا لا يكفي؟
- كلا.
- اسمع، يا رودريغو: حاولت افهامك في رسالتي بأنني لم أكن انوي قطعاً ان اخدعك. الظروف كانت ضدي في البداية. ثم، فات الأوان، كنا قد اصبحنا في فالديروزا و. . .
- واعتقدت بأنني غير قادر على سماع الحقيقة، أليس كذلك؟
- نعم، كأنني أملك موهبة اغضابك. ليلة العيد، عندما حاولت ان اشرح لك، لماذا رفضت الاصغاء اليّ، لحظة واحدة؟ اكتفيت بالنظر اليّ بترفع كأنني. . .

انقطع صوتها ببكاء مكبوت، ثم انهت كلامها بنبرة شاكية:
- بعد ان دعيتنا الى القصر بهدف معيّن، طردتنا منه وكأننا غير صالحات. . . هذا ما فعلته!
- حسناً، لكن ألم تكن لدي حجة مقنعة لأفعل ذلك؟ لقد تجاوبت معي بشكل واضح وملموس. لكن، هل كان هذا التمثيل جزءاً من خطتك؟ كنت أظنك بريئة لشدة ما كنت احمق. ولما أوضحت لي كارلوتا الأمور، لم أكن أصدق بأنك تستطيعين التمتع بالازدواجية.
- لكن، يا رودريغو، هل تصورت بأني كنت كاذبة في عواطفي؟
ومن دون وعي، تمسكت بذراعه بوجه متوسل، ثم اخذت نفساً عميقاً قبل ان تبدأ باخباره عن مغامرات ايفون وانتهت بالقول:
- بعد قصة الخاتم، بدأت ايفون تموت رعباً من اثارة غضب والدها مرّة اخرى. فتوسلت اليّ لئلا اخبرك شيئاً، حتى لا تطرد من الجزيرة وكي لا تضطر ان تخبر والدها عن مغامراتها مع رينالدو. اما بالنسبة الى غوردن سيرل، حسب رأيي، لم يكن مهتماً بجزيرتكم لسبب سياحي محض، انما بحجة ابعاد ابنته عن الجوّ العائلي، اعطاني عملاً لتبرير هذه العطلة الطويلة التي قضيتها على حسابه. لم يظهر لي عن تأسفه لفشل المشروع. . . لكن، يا رودريغو، لا تعتقد بأنني حاولت خداعك من أجل الوصول الى غايتي. أنا لست من هذا النوع.
بصمت راح يحدق فيها مطولاً، ثم قال بلطف:
- لماذا لم تشرحي لي كل هذا، قبل الآن؟
ازاحت نظرها عنه ولم ترد فسألها:
- اكنت صعب المنال الى هذه الدرجة؟
- لم يكن سهلاً شرح الأمور لك.

- حتى عندما كنت بين ذراعي؟

هزت رأسها وران الصمت. فجأة قال رودريغو:

- لوريل، حبيبتي، في بلادنا، مثل يقول بأن الصمت والوحدة يؤذيان الانسان الاسباني حتى الموت. وهذا صحيح بالنسبة اليّ. لا يمكنني ان اتخيّل المستقبل من دون صوتك الناعم ووجهك الصغير المثير الشرس والعنيد...

- كيف...؟

نظرت الى وجهه، لكنها لم تر فيه أي علامة سخرية، انما تعبيراً جعل قلبها ينبض بسرعة. فقال لها:

- هيا، لا تنظري اليّ وكأنك تشكين بي وبك! الا تريدين الافصاح عن سبب ارسالك الرسالة؟ هل يهمك رأيي بك؟

- اظن انك تعرف تماماً بان رأيك بي يهمني كثيراً.

- لكنني كنت أحب ان اسمع ذلك منك!

- منذ أسابيع كتبت هذه الرسالة، لكنك لم ترد عليّ.

- تأخر وصول رسالتك بسبب الاضرابات ولما وصلت الى القصر، لم أكن هناك. كنت مسافراً من أجل التمويه والراحة... لم أجد طعماً أو لوناً للحياة منذ رحيلك. وعندما تمكنت، اخيراً، من استلام الرسالة، قررت ان أرد عليها بشخصي... وها أنا هنا... الا تشعرين برغبة في الحصول على الغفران؟

- أنا؟ الحصول على الغفران؟ منك؟ بعد ان شتمتني ونظرت اليّ باشمئزاز، تلك الليلة. انت دائماً غاضب، دائماً مستعد للاتهام. الا عندما...

- الا عندما لا أعود أتحمل كبت شعوري وانفعالي تجاه ما كنت توحين به من رغبة جامحة... أليس هذا ما كنت تريدين قوله؟ آه، يا

كنزي، متى ستتوصلين الى فهم الطباع الاسبانية؟ نحن لا نعرف اخفاء شعورنا وعواطفنا، وغضبنا وفرحنا. كما لا نحقد على أحد. انفجارنا مؤقت وسريع. ثم... ما أجمل السلام بعد العراك، واللقاء بعد الفراق...

امسك يديها وجذبها اليه وقال:

- والآن، هل ستتصالح، مرّة الى الأبد؟

ضمها اليه وعانقها بحنان وشغف. رفعت لوريل رأسها وقالت:

- وكارلوتا، الا تريد الزواج منها؟

- يا رب، نجني منها! من الذي جعلك تفكرين بذلك؟ آه. عرفت... جدتي! انسي هذه الأقاويل العائلية! وانت؟ كنت تستعدين للخروج، اليس كذلك؟ مع من؟ مع رجل طبعاً! ستلغين الموعد وبسرعة! انت، من الآن فصاعداً، لي وسأحاول دائماً الا ادعك تنسين ذلك. هل هذا واضح!

- تقريباً... هناك امر صغير...

- اعرف. لم اطلب بعد يدك بصورة رسمية. اذن، يا لوريل.. هل تقبلين الزواج مني؟

- آه، نعم.

- قولي بأنك تحبينني.

- احبك، يا رودريغو. آه، يا حبيبي، كل هذا جميل، لكن اخشى الا يكون حقيقة!

- ليس هذا حلماً، يا لوريل وسأبرهن لك ذلك.

ضمها اليه بشدة وعانقها مطولاً.. ثم ارخى قبضته وقال:

- لنكن واقعيين، يا حبيبتي. لا يجب ان نستبق الأمور. ادخلي الى غرفتك وارتدي ملابسك والا سيطير عقلي.

لكنه لم يبعدها كلياً عنه، بل سألها بصوت مبحوح:
- هل تتذكرين لقاءنا الأول؟
احنت لوريل راسها واحمرّت وجنتاها فقال:
- التجربة والتقليد لا يتفقان. هيا، افعلي ما قلته لك.
- والاّ قاصصتني؟
- طبعاً.
- آمل الا تسجنني طوال مدة خطبتنا وتمنعني من عناقك.
- نعم، اذا رفضت الزواج مني في الحال!
اسرعت في الانضمام الى ذراعيه لكن رن الجرس!
يا لها من مفاجأة كبيرة لايفون!